obeikandl.com

الفصل الخامس

ثورات المصريين في التاريخ المعاصر

obeikandl.com

الفصل الخامس

ثورات المصريين في التاريخ المعاصر

حالة البلاد قُبَيل ثورة يوليو

قبل الثورة بعامين كان الموقف السياسي يتدهور ، وهيبة النظام تتآكل ، وحماقات الملك في نفس الوقت تتضاعف ، وتتسم بعدم المبالاة أو سلامة التقدير ، والتهبت الصحف بمقالات نقدية عنيفة تفضح التصرفات الشخصية للملك ورجال الحاشية بعبارات مستهترة ، ولم يفلح قانون حماية أخبار القصر في وقف هذه الحملة .

وألقى محمد صلاح الدين (1) بيانه أمام مجلس النواب يوم ١٦ أغسطس ١٩٥١ حمل فيه حملة عنيفة على الاستعمار البريطاني والسياسة الإنجليزية في فلسطين التي انتهت بإنشاء إسرائيل ، وأشار إلى وجوب جلاء الإنجليز عن قاعدة قناة السويس قبل الموعد المحدد في معاهدة ١٩٣٦ وهو عام ١٩٥٦ ، وتأكيد الوحدة بين مصر والسودان . وإلا ستعمل حكومة الوفد على إلغائها .

وتلقت الجماهير خطاب وزير الخارجية ليكون نقطة انطلاق لها في حركتها التي كانت تتصاعد يوماً بعد يوم حتى ٢٦ أغسطس – تاريخ توقيع معاهدة ١٩٣٦ – فقررت التنظيمات السياسية التظاهر وخرجت القاهرة عن بكرة أبيها على حد تعبير جريدة المصري ،وحدث تصادم بين البوليس والمتظاهرين فأصيب البعض من الطرفين ، واستمرت المظاهرات تموج في القاهرة حتى المساء .

(1) وزير الخارجية في الحكومة الوفد الأخيرة التي تشكلت في ١٩٥٠/١/١٢

obeikandl.com

ووجدت الحكومة الوفدية أنها تفقد كثيراً من رصيدها الشعبي أمام موجة الحماس التي تجتاح الشعب ، ووجدت أيضا أنها قد أصبحت محاصرة بوعدها الذي قطعته على نفسها بإلغاء المعاهدة . (١)

المظاهرات تعم البلاد عقب إلغاء معاهدة ٣٦

كانت المظاهرات عقب إلغاء النحاس باشا لمعاهدة ١٩٣٦ وإعلان الكفاح المسلح ضد الإنجليز – قد عمت معظم المدن المصرية مطالبة بالقتال والسلاح ، وكانت القوات الإنجليزية تتصدى بعنف لهذه المظاهرات ، ولم تتورع عن سفك دماء المتظاهرين مما ترتب عليه قتل ٧ متظاهرين وجرح ٤٠ في الإسماعيلية ، وقتل ٥ متظاهرين وجرح الكثير في بور سعيد ثم وضعت القوات البريطانية منطقة القنال تحت حكم عسكري مباشر متجاهلة السلطة المصرية .

وفي يومي ١٧ ، ١٨ نوفمبر ١٩٥١ أطلق الإنجليز النار على ثكنات البوليس في الإسماعيلية فردَّ هؤلاء وسقط القتلى والجرحى من الجانبين ، وفي ٣ ديسمبر أطلق الإنجليز النار على بعض قوات البوليس في السويس واستشهد ٢٨ مصريّاً منهم ٧ من رجال البوليس ، وقتل من الإنجليز ٢٢ وتجدد الاشتباك في اليوم التالي وسقط ١٥ شهيداً .

وفي ٨ ديسمبر طلب الإنجليز إخلاء حي (كفر أحمد عبده) بدعوى تحصن الفدائيين به ، واجتمع مجلس الوزراء وقرر رفض الطلب ؛ فحشد الإنجليز آلاف الجنود ودبابات ومصفحات لم يكن ممكناً لقوة بوليس لا يزيد عددها عن ٤٠٠ أن تقاوم فانسحبت وهدم الإنجليز كفر أحمد عبده . (٢)

كانت هذه الأحداث المتكررة تهيج مشاعر الشعب في مصر فتنطلق المظاهرات ، ويحدث من أفرادها اعتداءات على الممتلكات المصرية ، مما نبه العقلاء من المثقفين

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج١ ص ١٥٢ ، ١٥٣
(2) نفسه ص ١٦٦ .

obeikandl.com

إلى التنبيه إلى خطورة هذا حتى لا يتخذ الإنجليز هذه الاعتداءات على الممتلكات والمنشآت الأجنبية ذريعة لمواصلة التنكيل بالمتظاهرين واتهامهم بالفساد والفوضى والخروج على النظام ، مما يترتب عليه تحويل المظاهرات الوطنية المشروعة إلى بلطجة غير مشروعة .

مجزرة الإسماعيلية

في يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢ وصلت الاستفزازات البريطانية إلى الذروة عندما احتشدت قوات ضخمة من الجيش البريطاني تشد أزرها قوات كبيرة من الدبابات والمصفحات ومدافع الميدان وحاصرت مبنى محافظة الإسماعيلية وثكنات بلوكات النظام ، وطالبت تسليم أسلحة جميع قوات البوليس من بلوكات النظام وغيرهم الموجودين بالإسماعيلية ، وجلاء تلك القوات عن دار المحافظة وعن الثكنات مجردة من أسلحتها في الساعة السادسة والربع من صباح ذلك اليوم ورحيلها عن المنطقة جميعها .

فاتصل قائد بلوكات النظام اللواء أحمد رائف بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين فطلب منه عدم التسليم ومقاومة أي اعتداء يقع على دار المحافظة أو على ثكنات بلوكات النظام أو على رجال البوليس أو الأهلين ، ودفع القوة بالقوة ، والصمود في الدفاع حتى آخر طلقة مع القوات كما طلب تبليغ ذلك إلى القيادة البريطانية .

وبعد دقائق عاد القائد البريطاني وأبلغ قائد البوليس المصري بأنه إذا لم تسلم القوات المصرية أسلحتها فوراً فستهدم دار المحافظة والثكنات على من فيها . فأصر القائد المصري على رفض التسليم ، وأصدر أمره إلى القوات التي تحت إمرته بالمقاومة إلى النهاية إذا بدأ العدوان الإنجليزي .

وبعد دقائق نفَّذ البريطانيون إنذارهم وأخذوا يضربون دار المحافظة والثكنات بالمدافع ويطلقون عليها القنابل ، وانهال الرصاص من الدبابات والسيارات المصفحة على جنود البوليس .

فردَّ جنود البوليس البواسل على هذا العدوان بالدفاع المشرف وقابلوا الضرب بضرب مثله مع الفارق بين القوتين في العدد والمعدات الحربية والأسلحة ، فإن قوة البوليس لم تكن تزيد على ثمانمائة جندي بثكنات بلوكات النظام وثمانين بالمحافظة، وليس لديهم من سلاح سوى البنادق ، أما قوات الإنجليز فكانت تبلغ سبعة آلاف جندي مسلحين بالدبابات الثقيلة والمصفحات والسيارات والمدافع .

ونشبت معركة بين الطرفين دموية رهيبة ، وظلت القوات المصرية تقاوم ، ولم تتراجع ، ولم يضعف من استبسال الجنود المصريين تهدم مبنى المحافظة من ضرب المدافع واشتعال النيران فيه ، واستمروا في مقاومتهم حتى نفدت ذخيرتهم،ومن ثم استسلموا للأمر الواقع .

وأحنى قائد القوة البريطانية رأسه احتراماً لهم ، وقال لضابط الاتصال بأن رجال القوات المصرية جميعاً قد دافعوا بشرف واستسلموا بشرف فحق عليه احترامهم جميعاُ ضباطاً وجنوداً .

وقد سقط في ميدان الشرف في هذه المعركة من جنود البوليس خمسون شهيدا،وأصيب منهم نحو ثمانين جريحاً . وقدرت القيادة البريطانية خسائر الإنجليز بثلاثة عشر من القتلى ، و١٢ جريحاً ، والراجح أنهم حوالي عشرين قتيلاً وثلاثين جريحاً . (1)

حريق القاهرة المقدمات والنتائج

في مساء يوم الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ نشرت وزارة الداخلية عن طريق دار الإذاعة أنباء مجزرة الإسماعيلية التي حدثت في ذلك اليوم ، وتوالت منذ استفاضة أنباء مجزرة الإسماعيلية بأن يوم السبت سيكون يوماً عبوساً قمطريراً ففي الساعة

(1) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " الدار القومية للطباعة والنشر ص ١٠١ – ١٠٣ بتصرف .

السادسة من صباح ٢٦ يناير تمرد جنود بلوكات نظام الأقاليم في ثكنتهم بالعباسية ، وامتنعوا عن القيام بما كلفوا به من الذهاب إلى الجهات المخصصة لهم لحفظ الأمن بالعاصمة وخرجوا من ثكناتهم حاملين أسلحتهم في مظاهرة صاخبة يتصايحون بالسخط على ما أصاب زملاءهم في الإسماعيلية طالبين السلاح للقتال وساروا بجموعهم من العباسية إلى الأزهر إلى ميدان العتبة الخضراء ومنه إلى ميدان الإسماعيلية (التحرير) فالجيزة واتجهوا إلى جامعة فؤاد (جامعة القاهرة) وكانت الساعة قد بلغت التاسعة صباحاً ، وهناك اختلطوا بالطلبة ، وتبادلوا وإياهم شعور السخط والهياج وسار الجميع في موكب المظاهرة إلى العاصمة يطوفون بالشوارع صائحين صاخبين .

ومنذ الساعة التاسعة صباحاً أخذت مظاهرات عدة تتدفق على ميدان عابدين ومنه إلى رياسة مجلس الوزراء وقد التقت هذه المظاهرات بمظاهرة جنود بلوكات النظام وطلبة جامعة فؤاد ووصل الجميع تباعاً إلى دار رياسة مجلس الوزراء وكان ذلك حوالي الساعة الحادية عشر والنصف . وفي فناء هذه الدار أطل على المتظاهرين وزير الشئون الاجتماعية عبد الفتاح حسن وألقى فيهم خطبة حماسية جارى فيها شعورهم .

ثم تركت هذه الجموع دار الرياسة وانسابت في قلب العاصمة صائحة منادية بحمل السلاح والسفر إلى القنال لمحاربة الإنجليز،وكانت أنباء هذه المظاهرات وتحركاتها تبلغ في حينها إلى وزارة الداخلية ولكنها لم تخرج لتفضها . (1)

وكيف تقوم وزارة الداخلية بفض المظاهرات التي ما قامت إلا لتتدد بما فعله الإنجليز بجنود البوليس التابعين لوزارة الداخلية !

لكن المظاهرات أخذت بعد ذلك منحى أخر فلم يكتف المتظاهرون بالصياح والهياج بل بدءوا يهاجمون المحال والمنشآت الإنجليزية وهذا ما لم تكن تتوقعه وزارة الداخلية .

(1) نفسه ص ١٢١ – ١٢٣ بتصرف .

فقد قام بعض عناصر الشغب المندسة بين المتظاهرين بإضرام النار في كازينو أوبرا ، وللأسف انتشرت عدوى إشعال الحرائق وإتلاف الممتلكات وسببها بين المتظاهرين فتوالت حوادث إشعال النار والإتلاف والنهب فيما بين الظهر والمغرب فاجتاحت شوارع وميادين بأكملها .

بلغ عدد المحلات المنشآت التي أصابها الحريق والدمار نيفاً وسبعمائة معظمها مملوكة للأجانب ، وبعضها مملوكة لمصرين وكلها تقع في أجمل وأكبر أحياء العاصمة . وبلغ عدد القتلى في هذا اليوم ٢٦ شخصاً منهم ١٣ في بنك باركليز وتسعة في التورف كلوب وواحد أمام بنك باركليز واثنان أمام محل عمر أفندي وواحد توفي أثناء حريق أحد المتاجر بشارع شريف ، وبلغ عدد من أصيبوا بحروق أو كسور أو جروح ٥٥٢ شخصاً .

وترتب على حوادث الحريق أن تشرد الموظفون والعمال المصريون في المحلات والمتاجر والمنشآت التي نكبت بالحريق ويبلغ عددهم بضعة آلاف يعولون نحو عشرين ألفاً نسمة .

وبالجملة فإن القاهرة نكبت هذا اليوم في عمرانها ، بما لم تنكب بمثله في تاريخها الزاهر . (1)

إن ثقافة المظاهرات السلمية ما زالت قاصرة على الشعوب المتقدمة فقط فما من مظاهرة قامت في بلادنا إلا واكبها التخريب والتدمير وإشاعة الفوضى مما يترتب عليه نتائج عكسية . كما أن المظاهرات عندنا يغلب عليها الانفعال لا التعقل لذا يسهل توجيهها عن مسارها ، ولا يستثنى من هذه التظاهرات إلا القليل على قمته ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ التي كانت مثالية في كل ما قامت به فلم تخرج أبداً عن سلميتها ولم يقدم من شارك فيها على تخريب أو إتلاف للممتلكات إنما كانوا دائماً يحافظون عليها وينظفون الأماكن التي يتواجدون فيها بشكل حضاري لم يسبق له مثيل وهذا لا يمنع

(1) نفسه ص ١٢٦ ، ١٢٧ بتصرف .

من وقوع أحداث سلب ونهب واقتحام لأقسام الشرطة والسجون، وأعمال بلطجة . لكن ثوار ٢٥ يناير لا علاقة لهم بهذه الأحداث المؤسفة التي أساءت إلى ثورتهم العظيمة.

موقف الجيش من حريق القاهرة

لما قام الكفاح في القنال في أكتوبر سنة ١٩٥١ بعد إلغاء المعاهدة ، لم يشترك الجيش في المعركة لأن الظروف لم تكن مواتية لاشتراكه فيها ، ولكن بعض ضباط الجيش ساهموا سراً بتدريب الفدائيين على حرب العصابات وإمدادهم بالسلاح والذخيرة والمفرقعات وبالمساهمة الشخصية فيها . (1)

وبعد حريق القاهرة فإن الجيش هو الذي أعاد الأمن والنظام ، وأوقف الحريق والنهب والفوضى وشاهد الضباط الأحرار مبلغ ما جره انحدار الحكم وفساده على البلاد من كوارث وويلات ، وأي كارثة أكبر من شبوب الحرائق التي كادت تدمر عاصمة البلاد ورمز حضارتها .

ومن هنا سارعوا الخطى في إعلان الثورة وقدموا موعدها عما كانوا يعتزمون من قبل . (2)

أسباب نجاح تنظيم الضباط الأحرار

لم يكن تنظيم الضباط الأحرار هو التنظيم الوحيد في داخل الجيش وخارجه فقد دفعت أحوال البلاد السيئة كثير من المخلصين من أبناء الوطن إلى تكوين تنظيمات سرية بهدف تخليص البلاد من المتسببين في شقائه ، وكانت وسائل هذه التنظيمات للوصول لهدفهم هذا تتمثل في اغتيال بعض الخونة والمفسدين ، أو كتابة منشورات تحريضية ضدهم ، أو تنظيم مظاهرات ، أو تدمير بعض المنشآت .

(1) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " مرجع سابق ص ١١٤ .
(2) نفسه ص ١٣١

obeikandl.com

لكن هذه التنظيمات إذا استثنينا جماعة الإخوان المسلمين كانت قليلة العدد والعدة لا تملك الرؤية الشاملة – وإن حسنت نواياها – للإصلاح ، فهي وإن آمنت ببعض مبادئ الإصلاح فإنها لا تملك وسائل تحقيقها .

والحقيقة بعد حل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال قادتها ، واغتيال الشيخ حسن البنا زعيمها ، لم يعد هناك تنظيم قوي يعوَّل عليه في تغيير النظام القائم الذي لم يعد هناك أمل في إصلاحه .

التنظيم الوحيد الذي يمكن أن يعوَّل عليه فعل شيء لهذا الوطن كان تنظيم الضباط الأحرار فقد كان يملك بعض الأفكار الإصلاحية التي تتمثل في إصلاح الجيش وتطهيره من عناصر الفساد والمفسدين وإقامة جيش وطني قوي ، والقضاء على الاستعمار وأعوانه الخونة في وادي النيل . وكان التنظيم يملك تحقيق هذه الأفكار الإصلاحية بما لديه من تواجد قوي بين القوات المسلحة تمكنه من فرض رأيه ، واختيار من يمثله ، كما تمكنه من إمكانية القيام بانقلاب عسكري إذا اضطرتهم الظروف إلى ذلك وكان وراء نجاح هذا التنظيم عدة عوامل أهمها :

السبب الأول يتضح في حسن اختيار أعضاء التنظيم وخاصة أعضاء اللجنة التأسيسية الذين تكوَّن منهم مجلس قيادة الثورة بعد ذلك .

السبب الثاني في نجاح حركة الضباط الأحرار يكمن في شخصية جمال عبد الناصر التي فرضت على كل الضباط الأحرار احترامها وتقديرها ، والثقة فيها ، ولم يكن جمال عبد الناصر يمتلك شخصية كاريزمية فحسب بل كان شعلة نشاط يتواجد في كل مكان يتطلبه التنظيم التواجد فيه ، فلا يوجد اجتماع يخص التنظيم إلا كان عبد الناصر أبرز أعضائه ، ولا يوجد مناقشة حول التنظيم إلا كان له رأياً معتبراً فيها ؛ فلا عجب أن ينتخبه أعضاء لجنة القيادة ثلاث مرات بالإجماع رئيساً عليهم أعوام ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .

السبب الثالث هو جماعية القرار فلم يكن هناك قرار مهم إلا وتناقش الضباط فيه مناقشة حرة يدلي فيها كل بدلوه لا حجر فيها على رأي ولا مصادرة فيه لفكرة وهذا في رأيي أهم ما ميز تنظيم الضباط الأحرار فقد قام على الشورى داخل لجنة القيادة .

السبب الرابع في نجاح حركة الضباط الأحرار هو محمد نجيب فعلى الرغم من أن محمد النجيب لم يكن يشارك في اجتماعات لجنة القيادة لدواعي أمنية فإن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم كانا على اتصال دائم به والتشاور معه في كل خطوة خاصة بعد أن اختير قائداً للتنظيم في يناير ١٩٥٢ كذلك فإن كثيراً ممن انضموا للتنظيم كان أكبر حافز لهم للانضمام للتنظيم وجود نجيب على رأسه .

السبب الخامس يتمثل في منشورات الضباط الأحرار تلك التي روجت للتنظيم ، وعرَّفت الناس به .

أما **السبب السادس** فهو انتخابات نادي الضباط والنجاح الساحق الذي حققه محمد نجيب مرشح الضباط الأحرار .

كل هذه العوامل تضافرت لتجعل من التنظيم قوة لا يستهان بها تهدد النظام الحكام .

عوامل نجاح ثورة يوليو

كان من أهم أسباب نجاح ثورة يوليو، أنها جاءت لتحقق رغبة جموع الشعب المصري في التخلص من الظلم والإقطاع والاستعمار، والعديد من المظاهر السلبية التي ترتبت على فساد الحكم الملكي. ففي أواخر العهد الملكي، ساءت حالة البلاد واستشرى الفساد والمحسوبية والتسيب الشديد، وأصبح التخلص من الملك وحاشيته مطلباً شعبيّاً ضروريّاً لأي إصلاح .

وجاءت الظروف الدولية المواتية لتوفر مناخاً مناسباً قلَّل من حدة المقاومة الدولية لنجاح الثورة، فقد خرجت الإمبراطوريات الاستعمارية من الحرب منهكة القوى وغير قادرة على السيطرة على المستعمرات مترامية الأطراف، وبرزت الولايات المتحدة كقوة

obeikandl.com

عظمى، تقود وحدها المعسكر الغربي، ويعتمد حلفاؤها عليها في توفير الدعم المالي اللازم لإعادة إعمار اقتصادهم المنهار. وتاريخيّاً، لم يكن لأمريكا أطماع استعمارية مثل حلفائها، بل كان تدخلها في شئون الدول الأخرى مستتراً وبصورة أساسية مرتبطاً بمصالحها ومصالح مؤسساتها. وبرز الاتحاد السوفييتي باعتباره القوة العظمى الأخرى في العالم، وكان الاتزان بين هاتين القوتين وخوف كل منهما من الأخرى، عامل استقرار يحجمهما معاً ويحد من أطماعهما الإقليمية.([1])

ويمكن تلخيص عوامل نجاح الثورة في النقاط الآتية :

أولاً : تمت حركة ٢٣ يوليه، في توقيت مناسب سليم، كان الشعب قد وصل فيه إلى ذروة النقمة، على الملك، ورجال الحاشية، وحكومات الأقلية التي عطلت الدستور عمليّاً. واستندت إلى الأحكام العرفية. ولذا جاء استقبال الجماهير للحركة، معبراً عن التأييد الكامل، مشجعاً الضباط الأحرار على مواصلة الطريق .

ثانياً : كانت أحزاب الأقلية، تضم فريقاً من الإقطاعيين، وكبار الرأسماليين بعيداً عن ساحة الشعب، ولذا فإنها، مع ظهور الحركة، لم تعد أحزاباً منظمة، وإنما تحولت إلى شخصيات يسلك كل منها سبيلاً خاصاً يدافع به عن نفسه، وعن مصالحه. مما كشف للضباط مدى التفسخ والتمزق، الذي كانت تعاني منه هذه الأحزاب، وسقطت بعض الأسماء الكبيرة بسبب بتصرفات صغيرة .

ثالثاً : احتفظ الوفد بوحدته، ولم يحدث له مثل ما حدث، في أحزاب الأقلية. ومع ذلك ظل موقفه غير واضح. ولعله كان حذراً، يتحسب السير في اتجاه مضاد للتيار الشعبي المتدفق، المؤيد للحركة، الذي كان يضم بالتأكيد جماهير الوفد من القوى العاملة، التي طال بها الحرمان .

([1]) " ناصر " شركة الأفق للبرمجيات التفاعلية ١٩٩٩ تصحيح ومراجعة تاريخية أ.د. رءوف عباس حامد .

obeikandl.com

رابعاً : كان نجاح حركة ٢٣ يوليه، فرصة الإخوان المسلمين الفريدة، للسيطرة على الحكم والسلطة، فقادتها ليسوا غرباء عن تنظيمهم، بل إنهم نشئوا واستمر اتصال بعضهم به، وواصل البعض الآخر علاقته الطيبة بهم . (١)

خامساً : موقف يوسف صديق البطولي ليلة ٢٣ يوليو . لقد أجمع كل الضباط الأحرار على الدور البطولي الذي قام به يوسف صديق ، والذي أنقذ به الانقلاب من الفشل المحقق .

فقد تصور البكباشي يوسف صديق ساعة الصفر هي الحادي عشرة مساء وليست منتصف الليل . فحرك قواته واستطاع أن يستولي على مركز قيادة الجيش والقبض على كل القادة العسكريين الذين اجتمعوا فيه ليتخذوا الإجراءات الحاسمة للقبض على الضباط الأحرار وإفشال مخططهم . وتقديمهم إلى الحكمة العسكرية لكن يوسف صديق استطاع أن ينقذ الانقلاب من الفشل ، وينقذ الضباط الأحرار من المحاكمة العسكرية .

سادساً : هناك دور بارز قام به محمد نجيب لإتمام نجاح الثورة ولا أظن أن أحداً غيره كان يمكن أن يقوم به فكان اختيار الضباط الأحرار له موفقاً ، فقد أثبتت الأيام بعد ذلك أنه كان يتمتع إلى جانب شجاعته الفائقة ، ونزاهته الكاملة ، بجاذبية لا تقاوم ولذلك ما كاد يقع نظر الشعب عليه وهو يلوح بقبعته العسكرية، حتى تعلق به ، ووقع في حبه ، فأصبح يجري في أعقاب مواكبه ، وهو منجذب إليه ، مشدوداً إلى شخصه ، يود أن يلمسه ، أو يقبله أو يعانقه لو استطاع .

يقول محمد نجيب : " تحول الانقلاب إلى ثورة من ساعة أن وضعنا عيوننا على الشعب قبل الجيش ، وعلى الصغير قبل الكبير . وهذا ما كنت أحلم به ، والجماهير

---

(١) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ج١ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨

تكاد تحمل سيارتي ، التي تقلني من رأس التين ، بعد وداع الملك ، إلى ثكنات الجيش في مصطفى باشا . (1)

لقد كان اسم محمد نجيب كقائد للثورة باعثاً على طمأنينة الداخل والخارج ، كما كان دافعاً إلى التأييد الكاسح من ضباط الجيش والبوليس ومن أفراد الشعب ورجال الأحزاب والسياسة .

وهكذا توفرت، في محمد نجيب، في أوائل ١٩٥٢، أفضل الصفات، التي تؤهله لقيادة حركة عسكرية ناجحة، يقوم بها الجيش؛ فقد أصبح، إضافة إلى ما يتمتع به من سمعة وشهرة، حائزاً على ثقة الضباط، مما يضمن معه سرعة انضمام باقي الجيش إلى الحركة بمجرد الإعلان عن قيامها، تحت قيادته .

أسباب استقالة محمد نجيب

وتنجح ثورة ٢٣ يوليه وتتمكن من طرد الملك ، والقيام بالعديد من الإصلاحات لكن سرعان ما دبَّ الخلاف بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فلم يرض محمد نجيب عن كثير من القرارات التي يضطرَّ لإصدارها نزولاً على رأي أغلبية المجلس .

يقول نجيب : " في ١٥ يناير ١٩٥٤ بعد عام من حل الأحزاب تقريباً صدر قرار حل الإخوان المسلمين بأغلبية الأصوات ، وفي نفس اليوم اعتقل ٤٥٠ عضواً من الإخوان .. وأحسست أن موقفي أصبح في غاية الحرج ، هل أنا موافق على كل هذا ؟ هل أنا رافضه وغير مقتنع به ؟

أين أنا من كل هذا بالضبط ؟

ولم أجد مفرّاً من أن أقدم استقالتي !

قدمت استقالتي في ٢٢ فبراير ١٩٥٤ لكن قبل هذه الاستقالة جلست استعرض كل ما حدث لنا في خلال الفترة من قيام الثورة إلى الآن ، السلبيات ، والإيجابيات ، ما

(1) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " المكتب المصري الحديث ص ١٤٦

obeikandl.com

كسبناه ، وما خسرناه ، وما كسبته البلد وما خسرته ، لم أستطع أن أحدد بدقة نتيجة كشف الحساب ، فقد طرنا الملك ، لكن جئنا بالضباط إلى الحكم ، حققنا العدالة الاجتماعية لكن ظهرت المحسوبية ، واصلنا مشوار النضال لتحرير مصر ، لكن قضينا على الديمقراطية ، كنت مخلصاً ولكن زملائي يدفعون كل شيء نحو الاستجابة لشهواتهم الخاصة والعامة ونحو الديكتاتورية العسكرية أيضاً ، كنت أول رئيس لمصر لكني رفضت أن أوصم بأكثر مما وقع ، وانتهيت إلى الاستقالة .

وقبل هذه الاستقالة واجهت أعضاء المجلس بمنتهى الصراحة والشجاعة ، واجهتهم بالأموال العامة التي سحبوها بلا مبرر وبعثروها بلا حساب ، وطلبوا المزيد منها .

واجهتهم باستغلالهم لنفوذهم ، وواجهتهم بكل فضائحهم وعيوبهم .

حتى أن جمال سالم سألني : لماذا أنت غاضب علينا إلى هذا الحد ؟

فقلت له : سأذكر لك أنت وأسرتك واقعة واحدة تجعلني غاضباً ، واقعة شقيقك الذي طبع اسمه على بطاقة وكتب تحتها : " شقيق جمال سالم وصلاح سالم " ليسهل بها أموره ويكسب من ورائها الكثير .

وسألني آخر : هل هذا فقط ما يغضبك ؟

فقلت : إذا كان هذا لا يكفي فأنا غاضب من الأموال السرية التي تنفقونها على أغراضكم الشخصية وأنا غاضب على دولة المخابرات التي تكونونها الآن بإشراف بعض ضباط المخابرات المركزية ، وبعض الضباط الألمان الذين كانوا في الجستابو النازي .

إذا كان للقيادة الجماعية بعض المزايا فإن عيوبها أكثر ، وأخطر هذه العيوب أن يظهر شخص مثل جمال عبد الناصر ينجح في تحريك المجموعة من تحت المنضدة لتصوت حسب أهدافه وأغراضه .

إن عبد الناصر الذي كنت أحترمه ، كان شاباً صغيراً ذو قدرات متميزة ، وقد اقترحت عليه أن أدير وأقود البلاد لعدة سنوات إلى أن يكتسب الخبرة اللازمة التي تمكنه من أن يخلفني في الرئاسة ، وأكدت له في ذلك الوقت أنني سأكون سعيداً أن أستقيل من أجله ولصالحه ، وخيرته في ذلك ، أو أن أستقيل حالاً حتى لو أدى الأمر إلى خلق أزمة داخلية لأنني لم أعد أتحمل ، أو تسامح عن الأخطاء التي يرتكبها أعضاء المجلس .

ولم يختر عبد الناصر !

قلت له : من الأفضل أن تقود المسيرة من الآن بدوني !

لم يكن لي سلطة تعيين أو فصل الوزراء بدون موافقة المجلس ، ومع ذلك كنت مضطراً لمساندة الوزراء سواء كنت موافقاً عليهم أم لا !

وكنت مضطراً للتصديق على قرارات أركان حرب الجيش حتى التي صدرت دون استشارتي ، أو أخذ رأيي فيها .

وأنا لم أطلب سلطات مطلقة لي ولكني ببساطة كنت أطلب الحد الأدنى الضروري لممارسة مهامي ، وكنت مستعدّاً لمناقشة المجلس في أي قرار أتخذه .

لقد كان عبد الناصر بحماس الشباب يعتقد أنه من الممكن أن يحول كل معتقدات الشعب المصري إلى الطريق الذي اخترناه نحن الضباط لتحقيق أهدافنا ، ولم يكن ليستطيع أن يحول أهدافنا إلى طريق الشعب المصري . لكنني بخبرة وحكمة الكبار كنت أعتقد أن أفكاره خاطئة وأننا في حاجة إلى مساندة شعبية حقيقية ، وإن من الممكن تأجيل بعض الأهداف أو التضحية بها حتى لا نفقد ثقة الشعب فينا .

كنت باختصار أعتقد أن نصف رغيف أفضل من لا شيء .

لكن عبد الناصر كان يعتقد أنه يجب أن يأخذ الرغيف كله .

وقد طال بي العمر حتى رأيت أن اعتقاده كان خاطئاً وأن الإنجازات الضخمة التي أقامها لم يكن لها أي أساس ، وكان من السهل هدمها والتضحية بها في أيام .

obeikandl.com

وفي ٢٥ فبراير أصدر مجلس قيادة الثورة بيان إقالتي : وجاء فيه : أنني طلبت سلطات أكبر من سلطات أعضاء المجلس ، وأن المجلس رفض ذلك لأنه خروج على نظامه المتبع منذ سنوات وهو أن أعضاء المجلس متساوون بما فيهم الرئيس.([1])

ثورة الجماهير لإعادة محمد نجيب

وما إن قدم محمد نجيب استقالته وعاد إلى منزله حتى فوجئ بأن تلفونه بدون حرارة . وظهرت الجرائد في صباح ٢٥ فبراير تحمل هذه المانشتات :

قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التي يشغلها ، وتعيين جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء .

وتوهم مجلس قيادة الثورة أن الفرصة قد حانت للتخلص من آخر عقبة أمامهم للسيطرة الكاملة على مقاليد الحكم، وبذل صلاح سالم وزير الإرشاد غاية جهده في تلفيق التهم لمحمد نجيب ، ونسي عبد الناصر و أتباعه في سكرة الفرحة أن الناس منذ اندلاع الثورة لا تعرف إلا محمد نجيب بطل حرب ٤٨ ورئيس نادي الضباط وزعيم الثورة الذي خلصهم من الملك والملكية فاندلعت ثورة عارمة في كل من مصر والسودان تطالب بعودة محمد نجيب وبالحكم بالسجن على عبد الناصر وصلاح سالم . وبدأ ما عرف في التاريخ بأزمة مارس .

فبعض رجال الثورة المبعدين مثل خالد محيي الدين " يقف ومن ورائه سلاح الفرسان معترضاً على قبول الاستقالة، وبعض الوحدات العسكرية في الجيش والتي كانت ترى في محمد نجيب واجهة ديمقراطية خرجوا من أجلها ليلة ٢٣ يوليو كانت هي الأخرى ترفض قبول الاستقالة وكان لابد أن يتفجر الموقف .

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢٢١- ٢٢٩ بتصرف .

امتلأت الشوارع بالمظاهرات ، ونشطت جماعة الأخوان في قيادتها لهذه المظاهرات وكذلك نشطت القوى السياسية المصرية في التعبير عن وجودها وراحت تختبر نفسها كقوة سياسية لازالت قادرة على العمل .

تحرك الإخوان والوفديون وأعضاء الحزب الاشتراكي وأحزاب الأقلية المتعاطفون مع الصورة التي جسدتها الدعاية لمحمد نجيب سقط ثلاثة عشر قتيلاً من المدنيين وسقط عدد آخر من الجنود ورغم ذلك واصلت المظاهرات سيرها إلى ميدان عابدين وهي تهتف بالحرية وسقوط الديكتاتورية ، وتنادي بحياة نجيب و " السجن لجمال وصلاح[1]

يقول أحمد طعيمة المسئول عن هيئة التحرير في مذكراته : " كان الموقف خطيراً للغاية وقد استدعى ذلك عدم مغادرتنا مكاتبنا أنا والطحاوي لعدة أيام إذ كانت المظاهرات تعج بشوارع القاهرة وميدان عابدين منادية بسقوط جمال عبد الناصر وصلاح سالم لدرجة أن صلاح سالم نام في دواسة السيارة وهو في طريقه للقاء عبد الناصر خوفاً من بطش الجماهير . " [2]

ويؤكد حمروش هذا فيقول " كانت المظاهرات تزداد انتشاراً في شوارع القاهرة وتهتف (لا ثورة بلا نجيب .. إلى السجن يا جمال .. إلى السجن يا صلاح) " [3]

لم تتوقف المظاهرات على مصر فقط بل امتدت إلى السودان أيضا فقد " عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان تهتف " لا وحدة بدون نجيب " وكان محمد نجيب قد أصبح رمزاً للوحدة عند السودانيين فمدة خدمته الطويلة هناك، ودفن والده وخاله الضابطين بالجيش في السودان وعلاقته الوثيقة ومعرفته بكثير من

([1]) كرم شلبي " عشرون يوماً هزت مصر دراسة ووثائق في أزمة مارس " دار أسامة للطباعة والنشر ص ١٠

([2]) أحمد طعيمه " شهادة حق " حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ص ٧٩ .

([3]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص٣٤٠ .

obeikandl.com

الزعماء والبسطاء هناك جعلت منه شخصية شعبية محبوبة في السودان كما في مصر . " [1]

درس في أسباب استبداد الحاكم

أفقدت هذه المظاهرات العارمة صواب أعضاء مجلس قيادة الثورة " وكانت الاستجابة التي تمت بطريقة عفوية وتلقائية أن توجه صلاح سالم بصفته وزيراً للإرشاد إلى دار الإذاعة ودون أخذ رأي أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأذاع في السادسة مساء يوم ٢٧ فبراير بياناً بأن المجلس قرر دعوة اللواء محمد نجيب للعودة إلى رئاسة الجمهورية البرلمانية وفي اليوم التالي نشرت الصحف نص البيان ونص رسالة بعث بها محمد نجيب إلى مجلس الثورة يقول فيها " حرصاً على حفظ وحدة الأمة في الظروف الحاضرة وبناءً على دعوة مجلس قيادة الثورة قبلت رئاسة الجمهورية البرلمانية المصرية . " [2]

أرأيتم كيف أحبط الشعب المصري أول خطوات عبد الناصر نحو الديكتاتورية وأجبره على العودة إلى الدستور وإعادة الأحزاب والديمقراطية والبرلمان ؟

هل صدقتم أن سكوت الناس على الحاكم الظالم يطغيه ، وأنه ما كان الطاغية ليطغى إلا بسكوت شعبه عليه ؟

يقول المثل المصري الشعبي : " قالوا لفرعون إيش فرعنك قال ملقتش حد يلمنى"

" لقد كان واضحاً أن القوى السياسية المصرية رغم التناقض بينها قد التفت في لحظات معينة وسار الإخوان مع الشيوعيين والوفد مع أحزاب الأقلية ، والذين حاكمتهم الثورة إلى جانب الذين قامت الثورة من أجلهم ، وتحرك الجميع في مسيرة واحدة ضد الثورة من أجل الحرية والديمقراطية ." [3]

([1]) نفسه ص ٣٣٩

([2]) كرم شلبي " عشرون يوما هزت مصر دراسة ووثائق في أزمة مارس " مرجع سابق ص ١١

([3]) نفسه ص١٢ .

obeikandl.com

يقول نجيب عن مظاهرات الاحتفال بعودته : " فوجئ الناس بعناوين الصحف تحمل نبأ عودتي فخرجت المظاهرات ، وانهالت البرقيات على المجلس ودور الصحف ورئاسة الجمهورية . كما فرحت مصر فرح السودان أيضاً، فنحر الناس الذبائح ، ووزعوا الفاكهة والشربات ، وأرسلوا في أول يوم من الخرطوم إلى القاهرة ٢٠ ألف برقية تهنئة .

وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح ٢٨ فبراير خاطبت الجماهير الغفيرة من قصر عابدين وحاولت التخفيف من حدة الأزمة ، وطلبت منهم أن يحافظوا على الوحدة وأن يساعدوا إخوانهم أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وفي ذلك اليوم خرجت مظاهرات ضخمة من جماعة القاهرة ، قاصدة ميدان الجمهورية ، وكان المتظاهرون يهتفون بحياتي ، وحياة الديمقراطية ، وردد بعضهم هتافات معادية ضد مجلس قيادة الثورة ، فوقعت اشتباكات بينهم وبين رجال الأمن والبوليس بقيادة البكباشي أحمد أنور الذي كان شديد القسوة والعنف في التعامل مع المتظاهرين ، وأطلق رجال الأمن النيران ؛ فأصابت البعض ، وقبضت على البعض الآخر ، وكان من بينهم عدد من الإخوان الذين ازداد نشاطهم بعد حل جماعتهم .

لقد حوَّل أعضاء المجلس مظاهرات الفرح بعودتي إلى مآتم ، حتى أن البعض رفع قمصان الضحايا الملوثة بالدماء في وجهي وأنا أخطب في قصر عابدين بمناسبة عودتي ، ورفع الإخوان عبد القادر عودة على أكتافهم أمامي .

ورغم إنني قلت ساعتها : إنني لم أقبل العدول عن الاستقالة إلا من أجل الحرية والديمقراطية وإجراء انتخابات برلمانية وتأليف جمعية تأسيسية تمثل هيئات الشعب، ستجري الانتخابات التي تعيد الحياة النيابية للبلاد ، إلا أن هتافات الاحتجاج على مجلس قيادة الثورة لم يتوقف ، كانوا يصفونهم بالأعداء ؛ فطلبت من عبد القادر عودة

أن يصعد إلى الشفرة بجواري ، وأكدت لهم أن النيابة ستحقق في الحوادث التي وقعت ، وساعتها فقط هدأت الجماهير الغاضبة وانصرفت . " [1]

عبد الناصر والتفجيرات الستة

لكن عبد الناصر الطامع في السلطة الراغب في الاستبداد بها يلجأ إلى سلاح الغدر والخيانة فيدبر وقوع ستة انفجارات في أماكن متفرقة ، منها السكة الحديد ، والجامعة ، وجروبي ، ولم يُقبض على الفاعل . لإثبات أن الأمن غير مستقر ولا بد من العودة بالبلاد إلى حكم العسكر ولا تفكر في الحكم الديمقراطي أبداً .

تماماً كما تعمل فلول نظام حسني مبارك ، وأعضاء حزبه الوطني ، وعملاء بعض البلاد العربية التي تخشى على نظمها من ثورة الشعوب ضدها .

يقول جمال حماد مؤرخ الثورة " ذكر كل من خالد محيي الدين وبغدادي في مذكراتهما إن فترة ما بعد أزمة محمد نجيب شهدت انفجارات متعددة في القاهرة .. قال عبد الناصر إنها من تدبيره ليشعر الناس بحاجتهم لمن يحميهم . " [2]

انظروا إلى أي حد يدفع حب السلطة إلى قتل وترويع الآمنين .
ثم تأتي المظاهرات المأجورة كحلقة في مسلسل الغدر بمحمد نجيب الذي ألفه وأخرجه وأشرف على تنفيذه عبد الناصر لينفرد بالحكم .

عبد الناصر والمظاهرات المأجورة

كان عبد الناصر قد دبَّر أمراً بليل مؤامرة على محمد نجيب وعلى قرارات ٢٥ مارس والديمقراطية جميعاً ؛ فقد اتفق مع صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل على قيام عمال النقل بالإضراب التام عن العمل حتى يعود مجلس قيادة الثورة إلى مباشرة سلطاته مرة ثانية ، وتلغى قرارات ٢٥ مارس الديمقراطية .

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢٣٦- ٢٣٧ .
([2]) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مركز الأهرام للطباعة والنشر ص ١٦١ .

obeikandl.com

يقول عبد اللطيف بغدادي : " اعتكف عبد الناصر في منزله وبدأت الأزمة تنفجر وتوقفت الحياة تماماً في مدينة القاهرة يوم ٢٧ مارس بعد أن قام عمال النقل بإضرابهم مطالبين استمرار مجلس قيادة الثورة في مباشرة سلطاته وعدم السماح بقيام أحزاب ، ومعارضة إجراء أي انتخابات حتى يتم جلاء المستعمر ، كما قامت مظاهرات صاخبة تعترض على تلك القرارات وتطالب ببقاء المجلس ، وكانت تهتف هتافات موحدة : لا تتخلى عنَّا يا جمال .. إلى القتال يا جمال .. لا حزبية ولا انتخابات .

واستمرت الفوضى تعم البلاد ثلاثة أيام وكان آخر ما قام به المتظاهرون هو الهجوم على مبنى مجلس الدولة والاعتداء على الدكتور عبد الرازق السنهوري رئيس المجلس على أساس أنه هو الذي أعد قرارات إجراء الانتخابات وتشكيل الجمعية التأسيسية وسيتولى رئاسة الوزراء ، وفي ٢٩ مارس اجتمع مجلس الثورة وقرر العدول عن قراراته السابقة ، والبقاء في الحكم حتى يتم الجلاء .

وانتصر عبد الناصر على نجيب في هذه المرة ، وكان ثمن انتصاره ٤ آلاف جنيه دفعها إلى صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل " (١)

ويعترف جمال عبد الناصر نفسه لصديقه العزيز خالد محيي الدين بهذه المؤامرة.

يقول خالد محيي الدين : " لابد أن أقرر أن عبد الناصر والزملاء في مجلس الثورة كانت لهم أيضاً حساباتهم التي تنطلق أولاً وأساساً من ضرورة احتفاظهم بالسلطة بشكل أو بآخر ، ولم تكن قرارات ٥ مارس نابعة إلا من الإحساس بالمأزق، ومحاولة وجود مخرج يكفل لهم الاستمرار ، فلما تراكمت المشاكل وتبينت لهم احتمالات نهوض قوى سياسية أخرى لمعارضتهم خشوا من إفلات الزمام من أيديهم ، وتراجعوا عن القرارات وانقلبوا إلى النقيض .

(١) سامي جوهر " الصامتون يتكلمون " مرجع سابق ص ٢٦ .

obeikandl.com

إذن أردك عبد الناصر أن خطة ٥ مارس لا يمكن تنفيذها مع استمرار احتفاظه بالسلطة ، وبدأ في الالتفاف على الخطة ، وترتيب الأمر للاتجاه في مسار مضاد تماماً .

وطول هذه الأيام انهمك عبد الناصر في تنفيذ خطته فحشد أكبر قدر ممكن من ضباط الجيش حوله ، وبالتحديد حشدهم حولهم على أساس رفض الديمقراطية ، وأنها ستؤدي للقضاء على الثورة ، وبدأ عن طريق طعيمة والطحاوي في ترتيب اتصالات بقيادة عمال النقل العام لترتيب الإضراب الشهير .

ولك – عزيزي القارئ – أن تتصور إضراباً لعمال النقل تسانده الدولة ، وتحرِّض عليه وتنظمه .

وأتوقف تحديداً أمام كلمة " تموِّله " هذه فلقد سرت أقاويل كثيرة حول هذا الموضوع ، لكنني سأورد هنا ما سمعته من عبد الناصر بنفسي ، فعند عودتي من المنفى التقيت مع عبد الناصر ، وبدأ يحكي لي ما خفي عني من أحداث أيام مارس الأخيرة ، وقال بصراحة نادرة : لما لقيت المسألة مش نافعة قررت أتحرك ، وكلفني الأمر أربعة آلاف جنيه " (١)

ويقول أحمد حمروش : " كان عبد الناصر قد اتفق مع بعض العناصر الموالية له والتي تخشى إن انتهت الثورة أن يقدموا للمحاكمة من أمثال إبراهيم الطحاوي سكرتير مساعد هيئة التحرير ، والصاوي أحمد الصاوي سكرتير عمال النقل وغيرهما ، اتفق عبد الناصر معهم وأمدهم بالمال لإحداث ثورة مضادة لقرارات ٢٥ مارس وتمت المؤامرة " (٢)

أرأيتم إجراماً في حق الوطن أكبر من هذا ؟

أرأيتم مؤامرة للقضاء على الحرية والديمقراطية أحقر من هذه ؟

---

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

(2) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٥٢

obeikandl.com

أيها السادة هذه المؤامرة كلفت مصر والعرب ضياع حاضرها ومستقبلها ، وجرَّت الخراب والدمار علينا إلى يوم الناس هذا . تصور معي عزيزي القارئ أن قرارات ٥ – ٢٥ مارس ١٩٥٤ قد طُبقت وأصبح في مصر حياة ديمقراطية حقيقية. كم كانت ستكسب مصر ، والعالم العربي ؟

إننا نحارب من سنين طويلة من أجل تحقيق الحد الأدنى للديمقراطية والحرية والانتخابات النزيهة ، والعدالة الاجتماعية . ولم نظفر منها إلا بالنزر اليسير .

وكم كلفتنا الديكتاتورية التي انتصرت يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤ ؟

لقد كلفتنا الديكتاتورية مئات الآلف من الشهداء والجرحى الذين استشهدوا وأصيبوا في حروب خاسرة دخلها عبد الناصر دون إعداد وجرَّت علينا الهزائم وضياع الأرض والشرف والعرض .

كلفتنا سنوات طويلة من القهر والذل والعبودية للحكام إلى يوم الناس هذا .

كلفتنا الفقر والجهل والمرض تلك الأمراض المزمنة التي تفشت في الأمة .

كلفتنا تغييباً لوعي الأمة بحيث لم تعد قادرة على اتخاذ القرارات التي تحقق مصالحها الحقيقية ، بعدما أصبح مثلها الأعلى يتمثَّل في جمال عبدا الناصر زعيم الأمة وحبيب الملايين !!

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس : ١٢]

نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم : آثار الخير ، وآثار الشر ، التي كانوا هم السبب في إيجادها ، في حال حياتهم ، وبعد وفاتهم وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم ، وأحوالهم .

يقول النبي ﷺ : " مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا ، بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً

فَعُمِلَ بِهَا ، بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " (حديث صحيح رواه مسلم وغيره)

فكم يتحمل عبد الناصر من أوزار من جراء سَنِّه الدكتاتورية ؟

يقول خالد محيي الدين : " جاءت أحداث مارس ١٩٥٤ خاضها عبد الناصر بكل ثقة واستطاع أن يسيِّر مظاهرات تهتف " تسقط الديمقراطية " وانتصر عبد الناصر في مارس ١٩٥٤ لكنه لم يدرك في أن كسب جولة كهذه شيء ، وكسب المسار التاريخي شيء آخر ، وفي اعتقادي أن مارس ١٩٥٤ ونجاح عبد الناصر فيه مثَّل تجربة ظلَّت تهيمن لفترة طويلة على أسلوب عبد الناصر في الحكم ، وتصرفاته إزاء معارضيه ، واستمدَّ من نجاحه في مارس أساساً فعليّاً لتجربته ، ولم يدرك أن مثل هذا النجاح وقتي بالضرورة ، ولم يكتشف متى يتعيَّن عليه العودة إلى الديمقراطية ، والتعددية الحزبية ، وانساق وراء وهْم التجربة حتى كانت هزيمة ١٩٦٧ ، وفي اعتقادي أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ لم تكن هزيمة عسكريَّة ، بل هي في الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته في اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا ، وبعد الهزيمة كانت هناك فرصة تاريخية لتحقيق الديمقراطية ، لكن هذه الفرصة ضاعت لأن الديمقراطية تتطلب من الحاكم أن يقدم تنازلات للشعب ، ولم يكن عبد الناصر مستعداً – حتى بعد الهزيمة – أن يقدم أية تنازلات . وللحقيقة فإنني أعتقد أن أزمة الديمقراطية التي ولدتها ثورة يوليو لم تزل قائمة في بلادنا حتى الآن ." [1]

وفي اليوم التالي بدا عبد الناصر في تصفية حساباته مع الجميع ، على ضوء هذه الأزمة .

وينجح عبد الناصر بوسائله التآمرية في الوصول إلى سدة حكم مصر بعد إلغاء قرارات ٥ ، ٢٥ والإعلان عن إنشاء المجلس الوطني الذي لم ينعقد قط .

([1]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

openkan.com

يقول جمال حماد " يوم ٢٩ مارس اجتمع مجلس الثورة وصدر القرار ٢٩ مارس ينص على إلغاء قرارات ٥ مارس الديمقراطية وتكوين مجلس وطني من ممثلي الشعب والجمعيات ولكن عمره ما تعمل المجلس الوطني " [1]

ميلاد ديكتاتورية الثورة

ويُعَدُّ يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤م الميلاد الحقيقي لديكتاتورية الثورة والتي ستظل سُنَّة متبعة للحكم في مصر مع اختلاف مجالاتها فإذا كانت ديكتاتورية عبد الناصر كانت شاملة لكل جوانب الحياة وليست دكتاتورية سياسية فقط فإن الديكتاتوريات التالية اقتصرت في مجملها على الديكتاتورية السياسية فقط مع قيام ليبرالية اقتصادية مع مساحة من الحرية تتراوح بين المد والجزر حسب الأحوال .

وتتوالى الأحداث عاصفة من الآن فصاعداً فيقرر عبد الناصر أن يقبض على زمام الحكم بقبضة من حديد وتنزل القوات المسلحة إلى الشارع بعدما استطاع عبد الناصر أن يخضعها لسلطته بحجة حفظ الأمن ولكن الحقيقة كانت مهمتها قمع كل القوى السياسية المعارضة لعبد الناصر وسياسته .

هكذا حقق جمال عبد الناصر ما كان يتمنى :

- عُزِلَ محمد نجيب من رئاسة الجمهورية .
- حُلَّت الأحزاب السياسية ووضع قادتها في السجون .
- أُغْلقت صحيفة المصري التي لعبت دوراً كبيراً في أزمة مارس .
- حُلَّت جماعة الإخوان المسلمين وأعدم قادتها ووضع الألوف من أعضائها في المعتقلات والسجون .
- فشلت محاولات الانقلاب العسكري التي دبرها ضباط سلاح الفرسان وقبض على ١٦ ضابطاً وأودعوا السجون ، وانتهت التنظيمات .

([1]) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مرجع سابق ص ١٦١ .

openkanal.com

– حُلَّت نقابة الصحفيين والمحامين ، وعينت لها لجان مؤقتة موالية لمجلس قيادة الثورة . (١)

ويستطيع عبد الناصر بالحيلة والخداع أن يعتقل محمد نجيب وينفرد بحكم مصر ، ويقمع كل القوى المناوئة له ويفرض على مصر نظاماً استبداديّاً دام لأكثر من ستة عشر عاماً حرم الشعب فيه كل أنواع الحرية بدأ من حرية التظاهر السلمي وانتهاء بحرية التعبير عن الرأي . (٢)

مظاهرات الطلبة والعامل عام ١٩٦٨ م

وجاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧ لتكشف الغطاء عن النظام الفاسد ، والشعارات المزيفة ويخرج شباب العمال والطلاب على نظام عبد الناصر بعد نحو ثمانية شهور من هزيمة يونيو ٦٧ بعدما اكتشفوا حجم الهزيمة ، وفداحة الأخطاء التي ارتكبها النظام (٣) في حق شعبه فاندلعت انتفاضتا فبراير ونوفمبر ١٩٦٨ وتخللهما هتاف ضد عبد الناصر : " يا خالد قول لأبوك ثلاثين مليون كرهوك .. دي مش عزبة أبوك " (٤)

لقد نهضت الحركة الطلابية بعد أن سكنت طيلة عهد ثورة يوليو .

راح الشعب المصري طوال العهد الناصري في سبات عميق رأوا فيه حلماً جميلاً صنعه عبد الناصر وآلة إعلامه الجبارة التي سخرَّها للتضخيم من منجزاته وتبرير إخفاقاته وعندما وقعت هزيمة ٦٧ استيقظ الشعب المصري ليجدوا أن مركبهم تتلاعب بها الرياح وتوشك على الغرق ، وربانها الوحيد يقول لهم لقد أخطأت وعليَّ أن أتنحى

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٦٤ ، ٣٦٥

(2) لمزيد من التفاصيل حول كيف استولى عبد الناصر على حكم مصر راجع كتابنا " العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو " دار زهور المعرفة والبركة .

(3) لمزيد من التفاصيل حول هزيمة ٦٧ راجع كتابنا " هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " دار زهور المعرفة والبركة .

(4) انظر دراسة د. أحمد عبد الله " رد فعل الشباب إزاء الهزيمة القومية " ضمن كتاب " حرب يونيو ١٩٦٧ بعد ثلاثين عاماً " تحرير لطفي الخولي ص ٤٣ مركز الأهرام للترجمة والنشر .

عن القيادة تنفيذاً لأمر أمريكا وإسرائيل فهبَّ الشعب المصدوم وقال لا تتنحى فإننا لا نعرف غيرك ولا نريد أن يشمت فينا الأعداء !

وانطلت مسرحية التنحي على الشعب المخدوع الجريح ولكن بعد نحو ثمانية شهور من هزيمة يونيو ٦٧ ومسرحية التنحي اكتشف الشباب والعمال حجم الهزيمة، وفداحة الأخطاء التي ارتكبها النظام في حق شعبه فاندلعت انتفاضتا فبراير ونوفمبر ١٩٦٨ وتخللهما هتاف ضد عبد الناصر " يا خالد قول لأبوك ثلاثين مليون كرهوك .. دي مش عزبة أبوك " (١)

اكتشف الشباب أن المنجزات الناصرية التي ضحَّى الشعب المصري بحريته من أجلها ما هي إلا نكسات ؛ فزعيم القومية العربية قد مزَّق العرب ، وزعيم التحرر الوطني قد أضاع سيناء ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والجولان وقبل كل ذلك القدس الشريف ، وزعيم كتلة عدم الانحياز قد ارتمى في حضن الاتحاد السوفيتي البارد ، ورافع شعار كفاية في الإنتاج وعدالة في التوزيع قد التهمت مغامرته الخارجية الإنتاج ويده الباطشة قد وزعت الفقر والقهر على الجميع .

يقول د. أحمد عبد الله أحد قيادات الشباب الذين قاموا بمظاهرات الطلاب في فبراير ونوفمبر ٦٨ : " على المستوى السياسي كان النظام سلطويّاً قمعيّاً على وجه العموم؛ إذ رفض التعددية السياسية ، واحتكر الحكم صفوة عسكرية / مدنية أحادية ولم تغب فقط حريات التنظيم السياسي والنقابي والتعبير المستقل للأفراد والجماعات، بل غاب الكثيرون من المخالفين في غياهب المعتقلات الصحراوية "(٢)

(1) نفسه ص ٤٣ .
(2) د. أحمد عبد الله " رد فعل الشباب إزاء الهزيمة القومية " مرجع سابق ص ٢٤ .

openkanal.com

يقول السادات عن أسباب مظاهرات فبراير ٦٨ : " كانت محاكمة أعوان عبد الحكيم عامر أمراً لا مفرَّ منه ؛ فقد بدأت الناس تفيق بعد ٩ ، ١٠ يونيو تتساءل من المسئول عن الهزيمة ؟ ولماذا حدثت ؟ كما بدءوا يدركون أن عملية الصراع بين عامر وناصر لعبت دوراً رئيسيّاً في الكارثة التي حلَّت بمصر .

رأس المحكمة حسين الشافعي وقد جعلها علنية كما طلب هو من عبد الناصر وطبعاً حاول المتهمون إنقاذ رقابهم فحوَّلوا القضية إلى محاكمة لثورة ٢٣ يوليو فكانت النتيجة أن اختفى الوجه الجميل للثورة وهو إنجازاتها ولم يظهر غير وجهها القبيح وهو تضاعف الإجراءات الاستثنائية وكبت الحريات ، وكل ما جعل الناس تضيق بالثورة . رأى الناس هذا الوجه للثورة وكأنه وجهها الوحيد فزاد سخطهم وخاصة أن جروح الهزيمة كانت مازالت تدمي في قلوبهم فكانت النتيجة الحتمية لهذا انفجار الطلبة في فبراير سنة ٦٨ الذي ما لبث أن عمَّ جميع فئات الشعب . " [1]

انتفاضة الشباب الأولى

اندلعت الانتفاضة في ٢١ فبراير على يد عمال حلوان فور إعلان حكم المحكمة العسكرية في قضية ضباط سلاح الطيران المتهمين بالإهمال ، والذين كان الرأي العام يرى أنهم مسئولون عن جانب كبير من الهزيمة العسكرية .. واعتبر عمال المصانع الحربية ، وكذلك زملاؤهم عمال الصناعات الأخرى أن الأحكام مخففة للغاية ، وكان رد فعلهم هو الخروج إلى الشوارع حيث أصيب عشرات منهم في صدامات مع الشرطة أمام قسم حلوان ، وتصاعدت الأحداث التي بدأت بهذا الاحتجاج للتحوَّل إلى انتفاضة جماهيرية واسعة شارك فيها الطلبة بدور فعَّال .

وفي الأيام التالية خرج الطلبة من بوابات الجامعة لأول مرة منذ عام ١٩٥٤ م كان وجودهم في شوارع القاهرة والإسكندرية ملموساً ، وظلوا على هذه الحالة جنباً إلى جنب مع زملائهم المتظاهرين من المناطق الصناعية والمناطق الأخرى في المدينتين

([1]) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " المكتب المصري الحديث ص ٢٠٩ .

حتى ٢٧ فبراير ، ونتج عن انتفاضة القاهرة وحدها مصرع اثنين من العمال ، وإصابة ٧٧ من المواطنين ، و ١٤٦ من رجال الشرطة ، وألقي القبض على ٦٢٥ شخصاً . بالإضافة إلى تدمير بعض المركبات والمباني في العاصمة .

وشارك في الانتفاضة الآلاف من طلبة الجامعات الكبرى في القاهرة والإسكندرية ، وكان لطلبة كلية الهندسة بجامعة القاهرة دورهم المتميز ، حيث كانوا في قلب الأحداث في واقعتين لهما أهميتهما الخاصة . وقعت الأولى في ٢٤ فبراير عندما شكلت مجموعة من طلبة الهندسة الكتلة الأساسية من وفد تكوَّن من الطلبة المتظاهرين أمام مجلس الأمة والذين سمح لهم بالدخول لتقديم مطالبهم لرئيس المجلس أنور السادات . وعند تسجيل أعضاء الوفد لأسمائهم عبروا عن مخاوفهم بأنهم ربما يتعرضون للاعتقال فأعطاهم رئيس المجلس كلمة شرف بل إن أحداً منهم لن يصاب بسوء ، بل والأكثر من ذلك أنه أعطاهم رقم تليفونه الخاص للاتصال به في حالة حدوث شيء من هذا القبيل . ومع ذلك اتضح ان مخاوف الطلاب كانت لها ما يبررها تماماً ، حيث تمَّ اعتقالهم في منازلهم في نفس الليلة !!

وفي اليوم التالي عقد الطلبة الذين استشاط غضبهم للقبض على زملائهم اجتماعاً موسعاً ، وقرروا تنظيم اعتصام في كلية الهندسة وبالرغم من أن الحكومة كانت قد قررت تعطيل الدراسة في ٢٥ فبراير فإن الاعتصام ، وهو الواقعة الثانية التي ارتبت بطلاب الهندسة تم في ذلك اليوم واسمر ثلاثة أيام ، بينما كانت الانتفاضة في سائر البلاد آخذة في الأفول .

وكانت صيغة التسوية التي أنهت الاعتصام هي ما عرض على الطلبة من خلال وساطة إبراهيم جعفر ، وهو أن يتقدم الطلاب بمطالبهم إلى رئيس مجلس الأمة حيث تمَّ نقلهم من الكلية إلى المجلس ، وانعقد الاجتماع المقترح يوم ٢٨ فبراير باعتباره إنهاء للاعتصام وكان في واقع الأمر إنهاء لانتفاضة فبراير ١٩٦٨م كلها.

ودارت مناقشات ساخنة بين الطلاب من جهة والمسئولين من جهة أخرى . بدا أثناء هذه المناقشات أن حجة الطلاب أقوى طبقا لما ذكره أحدهم : " ولا أذكر أن مجموعة من الوزراء قد استهزىء بها مثلما حدث في هذه الجلسة " .

جدير بالذكر أن بيان اعتصام كلية الهندسة بالقاهرة قد احتوى على المطالب التالية

١- الإفراج فوراً عن جميع الطلاب المعتقلين .

٢- حرية الرأي والصحافة .

٣- مجلس أمة حر يمارس الحياة النيابية الحقة السليمة .

٤- إبعاد المخابرات والمباحث عن الجامعات .

٥- إلغاء القوانين المقيدة للحريات ووقف العمل بها .

٦- التحقيق الجدي في حادث العمال في حلوان .

٧- توضيح حقيقة المسألة في قضية الطيران .

٨- التحقيق في انتهاك حرمة الجامعات واعتداء الشرطة على الطلبة .[1]

ويضح جليّاً من هذا البيان أن مظاهرات العمال والطلبة لم تكن من أجل اعتراضهم على ضعف الأحكام الصادرة ضد قادة طيران هزيمة يونيو فحسب بل كانت من أجل المطالبة بحياة ديمقراطية سليمة تتمثل في برلمان حر يمارس الحياة النيابية الحقة السليمة ، وحرية الرأي والصحافة ،وإلغاء القوانين المقيدة للحريات ووقف العمل بها ، وإسقاط دولة المخابرات .

وقد تضمنت الشعارات التي كتبت على جدران كلية الهندسة إبان الاعتصام عبارات مثل : " يجب إنهاء حكم المباحث والمخابرات " ، " تسقط دولة المباحث " ، " تسقط صحافة هيكل الكاذبة " ، " لا حياة مع الإرهاب ، ولا علم بلا حرية " ، " القضية ليست قضية الطيران بل قضية الحريات " .

([1]) د. أحمد عبد الله " رد فعل الشباب إزاء الهزيمة القومية " مرجع سابق ص ٢٧- ٢٩ بتصرف .

obeikandl.com

وكانت بعض الشعارات التي كررها المتظاهرون موجهة ضد النظام نفسه تحديداً : " تسقط دولة العسكريين " ، يا جمال للصبر حدود ، عشرة يونيو مش هيعود " ، " ٩ يونيو أيدناك ، والنهارده عارضناك " .[١]

لم تكن انتفاضة الطلاب في فبراير ١٩٦٨ إذن مجرد احتجاج على أحكام محكمة عسكرية على مجموعة من المتهمين بالإهمال ، إنما كما يفسرها د. فؤاد زكريا : " كانت حركة الطلاب ١٩٦٨ تلخيصاً للسخط الجارف الذي اجتاح البلاد بعد هزيمة ١٩٦٧ . على أن الروح العامة التي كانت وراء هذا التحرك الطلابي كانت تعبر عما هو أكثر من السخط على الهزيمة ، إذ كانت في الواقع تعبيراً عن عدم الرضا عن أسلوب كامل في الحكم تعد الهزيمة العسكرية مظهراً من مظاهره السلبية "

وكان الأثر السياسي للانتفاضة رائعاً في البلد ككل وداخل الجامعات ، فعلى المستوى القومي اضطر عبد الناصر لأن يصدر قراراً بإعادة محاكمة الضباط المتهمين بالإهمال ، وتشكيل وزارة جديدة كان أغلبها من المدنيين ، معظمهم من أساتذة الجامعات ، وذلك لأول مرة في عهده ، والأمر الأكثر دلالة هو أنها جعلته يسعى لتجديد شرعية نظامه من خلال برنامج " ٣٠ مارس " بما كان يتضمنه من إصلاحات ليبرالية موعودة في النظام السياسي . " [٢]

ولكن إعلام عبد الناصر وذيول نظامه قد عملوا على قصر المطالب على أحكام الطيران فقط وتجاهلوا سائر المطالب !!

رغم أن عبد الناصر نفسه اعترف بمطالبة الثوّار بحياة ديمقراطية سليمة ، وإلغاء الاتحاد الاشتراكي ، وتنظيم الشباب التابعين للنظام الحاكم . وإطلاق الحريات العامة ، وحرية الصحافة .

([1]) د. أحمد عبد الله " رد فعل الشباب إزاء الهزيمة القومية " مرجع سابق ص ٢٩ ، ٣٠ .
([2]) نفسه ص ٣١ .

يقول عبد الناصر : " النظرة الأعمق أمامنا تبين أن هناك أشياء كثيرة وحيوية لا ينبغي أن ننساها، ولا ينبغي أن تنسى.. يعنى طلعت شعارات في هذه الأيام، زى ما قلت لكم إن المظاهرات مشيت سليمة، وبعدين طلعت شعارات غريبة؛ طلعت شعارات مثلاً تنادى بإلغاء الاتحاد الاشتراكى، طلعت نداءات أو شعارات تنادى بإلغاء منظمات الشباب، وبعدين طلعت شعارات تنادى بحل مجلس الأمة. طبعاً مع هذه الشعارات فيه شعارات بالحرية، وفيه شعارات بالديمقراطية، فيه شعارات بحرية الصحافة." [1]

فلم يكتف نظام عبد الناصر باعتقال وتعذيب الثوَّار الشرفاء من العمال والطلبة بل راحوا يسيئون إليهم ويتهمونهم بالعمالة والرجعية والثورة المضادة !!

يقول عبد الناصر : " الظروف اللى بنعيش فيها النهارده تشجع الثورة المضادة، ليه؟ لأن احنا قابلنا نكسة في ٥ يونيو، والاستعمار والصهيونية استطاعوا إنهم يلحقوا بنا الهزيمة.. طبعاً الرجعية تنتعش، الرجعية تشعر إن أمامها فرصة، ومن ورائها الاستعمار لتنقض على هذه الثورة .

ويستغلوا مين؟ يستغلوا الشعب الطيب.. الشعب البرىء، واحنا نعرف حتى فى الماضى قبل الثورة يمكن العمال ضللوا بواسطة الرجعية، والطلبة أيضاً ضللوا بواسطة الرجعية، أنا باقول إن العملية بدأت عملية تلقائية أما بدأت هنا فى حلوان، وبدأت عملية تلقائية أما بدأت فى الجامعة، ولكن بعد كده العملية ما أصبحتش عملية تلقائية.

كل واحد يمكن فى البلد له أوضاع طبقية، وأنا برضه باقول لإخواننا الطلبة فى الجامعة: قبل ما تنقاد ورا أى شعار شوف مين اللى يردد هذا الشعار، وكل واحد له أوضاع طبقية..

([1]) من خطاب جمال عبد الناصر في مؤتمر الاتحاد العام للعمال بحلوان بتاريخ ٣/ ٣/ ١٩٦٨ .

obeikandl.com

طبعاً فيه ناس اتاخدت أملاكهم، وفيه ناس اتاخدت أراضيهم، فيه ناس اتأممت مصانعهم، ودول أولادهم موجودين فى أوساطنا، بيسمعوا منا كلام ويروحوا فى البيت يسمعوا كلام تانى.. يسمعوا منا فى المدارس والمعاهد كلام عن الثورة والاشتراكية، لكن بيروحوا فى البيت بيسمعوا الكلام اللى بيمثل الرجعية.. بيتأثروا طبعاً بما يحدث فى بيوتهم وبما حصل فى عائلاتهم .

وأنا قلت لكم إن ثورتنا ماكانتش ثورة دموية عازلة أبداً ..احنا قلنا بالوسائل السلمية بنزيل الفوارق بين الطبقات، الرجعية اتحركت .. ازاى؟

حاولوا استغلال مظاهرات الطلبة بعد كده، حاولوا يتصلوا بالعمال، وأنا شفت أحمد فهيم، وعرفت منه محاولات بكل الوسائل للاتصال بالعمال فى أماكن مختلفة فى البلد.. ليه ؟ علشان العمال يسيروا فى طريقهم، ورفعوا لهم أيضاً شعارات الحرية والديمقراطية . " [1]

الانتفاضة الثانية

لم تمر بضعة أشهر على انتفاضة فبراير ٦٨ حتى عاد الطلاب مرة أخرى للضغط على نظام عبد الناصر .

وكانت قوانين التعليم في ذلك الوقت تسمح لطلاب المدارس الثانوية بدخول الامتحانات لأي عدد من المرات ، وتضمن للطالب النجاح العام برغم رسوبه في مادتين (غالباً الرياضيات واللغات الأجنبية) .

([1]) من خطاب جمال عبد الناصر في مؤتمر الاتحاد العام للعمال بحلوان بتاريخ ٣/ ٣/ ١٩٦٨ .

obeikandl.com

فصدر قانون جديد للتعليم يرفع درجة النجاح الصغرى في عدد من المواد بالمرحلة الثانوية ، وينهى الانتقال التلقائي من صف دراسي إلى آخر في المرحلة الابتدائية ، ويضع حدا أدنى من الدرجات للالتحاق بالمرحلة الإعدادية .

نشر قانون التعليم الجديد في الصحف يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٨ . وفي اليوم التالي خرج طلاب المدارس الثانوية في مدينة المنصورة إلى الشوارع احتجاجاً على القانون الجديد .

و في يوم ٢١ نوفمبر١٩٦٨ استمرت المظاهرات التي بدأها هذه المرة طلاب المعهد الديني الأزهري البالغ عددهم ألفين من الطلاب خشية أن يتأثروا بهذا القانون الجديد الذي لا ينطبق عليهم . و اتجه الطلاب المتظاهرون إلى مديرية الأمن . وطلقت الشرطة الرصاص على المتظاهرين لتقتل ثلاثة من الطلاب ومزارعاً ، بينما جرح ٣٢متظاهراً و ٢٣ شرطيّاً .

انتقلت أخبار الاحتجاجات التي شهدتها المنصورة إلى جامعة الإسكندرية التي تضم عدداً من أبناء الدقهلية . وفي يوم ٢٥ نوفمبر حدث إضراب بالإسكندرية ، كما شهدت المدينة مظاهرات على نطاق لم تشهده من قبل ، وانتهت بصدام دامٍ بين الشرطة . وكما توضح أرقام الخسائر ، فإن الطلاب لم يكونوا وحدهم في هذه الأحداث : إذ لقي ستة عشر شخصاُ مصرعهم (٣ طلاب ، ١٢ من الأهالي ، وتلميذ عمره ١٢ عاماً) في حين أبلغ عن وصول ١٦٧ مصاباً من الأهالي إلى المستشفيات كما أصيب ٢٤٧ من رجال الشرطة ، وألقي القبض على ٤٦٢ شخصاً، ووفقاً لتقرير وزير الداخلية فإنه تلقى تقريراً بالصور الفوتوغرافية حول الممتلكات التي دمرت أثناء المظاهرات وتتضمن : تحطيم ٥٠ سيارة أتوبيس نقل عام ، ٢٧٠ لوح زجاج ترام ، ١١٦ إشارة مرور ، ٢٩ كشك مرور ، وزجاج ١١ محلاً تجاريّاً ، وحرق أثاث نادي موظفي المحافظة . (١)

(١) د. أحمد عبد الله " رد فعل الشباب إزاء الهزيمة القومية " مرجع سابق ص ٣٦ .

لقد مثَّلت الانتفاضتان الطلابيتان في فبراير ونوفمبر ١٩٦٨ تعبيراً شبابيّاً مرتفع الصوت عن أزمة كل من النظام السياسي ، وأزمة جيل ١٩٦٧ كليهما ، وكان التفاعل الصدامي بين الطرفين مؤذناً بتجاوز الهيمنة الأيديولوجية والسياسية للنظام على جيل الشباب ، حسبما أبرز ذلك الفرق بين تأييد النظام ف ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ والتمرد عليه في فبراير ونوفمبر ١٩٦٨ ، وقد مثَّل ذلك نوعاً من الانتقال من حال إلى حال في ديناميات النظام السياسي . إلا أنه جاء انتقالاً محجوزاً لم يأت بتحوُّل نوعي فقد نقي النظام متراوحاً بين أعمال برنامج ٣٠ مارس ، كخميرة للديمقراطية ، وأعمال مبدأ " لا صوت يعلو فوق صوت المعركة " فاستمر النظام كما هو في سياسته ، ولم ينطلق عقال الانتقال إلا بعد وفاة عبد الناصر ومجيء السادات للرئاسة." [١]

يقول السادات : " لجا عبد الناصر إلى احتواء الانفجار فأصدر بيان ٣٠ مارس الذي حاول فيه أن يمتص غضب الشعب بمعالجة لكل الأمور التي تشكو منها الناس بعد أن كشفت لهم القضية عن الوجه القبيح للثورة . " [٢]
ويموت عبد الناصر دون أن يغسل عار الهزيمة التي جلبها لمصر والعالم العربي، ودون أن ينفِّذ شيئاً من الإصلاحات السياسية التي وعد بها في بيان ٣٠ مارس . [٣]

انتفاضة الخبز عام ١٩٧٧

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م مرت مصر بضائقة مالية بسبب المجهود الحربي ، وكثرة النفقات لتحرير الأرض المحتلة ، واضطرت المجموعة الاقتصادية في مصر إلى رفع أسعار بعض السلع الغذائية الأساسية بعدما رفعت مرتبات الموظفين حتى يواجهوا هذه الزيادة .

([1]) د. أحمد عبد الله " رد فعل الشباب إزاء الهزيمة القومية " مرجع سابق ص ٣٨ .
([2]) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " المكتب المصري الحديث ص ٢١٠ .
([3]) لمزيد من التفصيل عن نظام عبد الناصر انظر كتابنا " نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي " مكتبة غريب .

obeikandi.com

وما كادت الجماهير تعرف أخبار هذه الزيادة حتى اشتعلت المظاهرات في ربوع الوطن كله ، وقد نفخ حزب التجمع والقوى اليسارية والناصرية ، وجماعة الإخوان المسلمين في نار هذه الانتفاضة حتى تأججت .

إذن السبب المباشر لاندلاع الانتفاضة في صباح ١٨ يناير ١٩٧٧ هو قرار الحكومة برفع أسعار سلع أساسية مثل الخبز والشاي والأرز والسكر واللحوم والمنسوجات، وغيرها من السلع الضرورية بنسبة تصل إلى الضعف .

وفرض حظر التجوال ونزل الجيش إلى المدن للسيطرة على المظاهرات وأعمال التخريب التي استهدفت المباني الحكومية والمحلات التجارية، واعتقل الآلاف من المتظاهرين من العمال والطلبة .

ورغم اضطرار الحكومة للتراجع عن قرار رفع الأسعار، واصل السادات وصف الانتفاضة في خطبه بـ"انتفاضة الحرامية"؛ بسبب أعمال سلب استهدفت المجمعات الاستهلاكية خلال الأحداث.

وكانت أهم الشعارات التي رفعها المتظاهرون هي :

" يا حكومة هز الوسط .. كيلو اللحمة بقي بالقسط "

"هما بياكلوا حمام وفراخ .. واحنا الجوع دوخنا وداخ "

" هو بيلبس آخر موضة .. وإحنا تاكلنا السوق السودا "

" هو بيبني في استراحات .. وإحنا نعاني آهات وآهات "

ونبدأ الحكاية من بدايتها .

أسباب الانتفاضة

كان عام ١٩٧٧ عاماً صادماً في حياة المصريين.. فبعد انتصار أكتوبر العظيم ، وتصريح السادات بأنها آخر الحروب وبدأ الكلام عن السلام يكثر وهلل الإعلام لدولة " العلم والإيمان " واستبشر الناس بحلم "الرخاء" .

كان الجميع ينتظرون موسم هبوط الثروات بعد عقود من الانكماش وأزمات المعيشة بسبب حرب السنوات الست مع إسرائيل، ويعيشون حياة كريمة مثل من سافر

للخليج وعاد محملاً بالدنانير والريالات والأجهزة الكهربية ، ومن عادت لهم ثرواتهم التي كانت تحت الحراسة أيام التأميمات الناصرية ، لكن علي غير المتوقع قرأ الناس في صحف الصباح يوم ١٧ يناير ١٩٧٧ قرارات المجموعة الاقتصادية الصادمة والتي تضمنت إلغاء الدعم الحكومي ورفع أسعار ٢٥ سلعة دفعة واحدة من بينها الدقيق والأرز والشاي واللحوم، وزيادة أسعار السجائر والبنزين والسكر.

في ذلك الوقت كانت المجموعة الاقتصادية تضم عناصر منفتحة وأكثر اتساقاً مع تغيرات العالم ، بينما بقيت مصر شبه منعزلة سنوات طويلة إبان العهد الناصري ، كان هناك الدكتور عبد المنعم القيسوني نائب رئيس الوزراء للشئون المالية والاقتصادية والدكتور زكي مراد وزير الاقتصاد والدكتور حامد السايح وزير الاستثمار وجاءت قرارات يناير استجابة لمذكرة قدمها بول ديكي ممثل البنك الدولي أوصي فيها بتخفيض سعر صرف الجنيه، وتخفيض الدعم عن بعض السلع الضرورية وهو ما مثل صدمة كبيرة للمواطنين الذين كانوا في انتظار عهد الرخاء.

انفجار الانتفاضة

في اليوم التالي لإعلان زيادة الأسعار اشتعل بركان الغضب.. العمال والطلبة والموظفون والعامة حتى السيدات، اندلعت المظاهرات وردد الناس هتافات الغضب ضد ممدوح سالم وزير الداخلية وضد سيد مرعي عضو مجلس الشعب وضد محمود أبو وافية وضد كثيرين ممن كانوا علي رأس نظام الحكم ومن أسوان إلى الإسكندرية تحطمت المحلات التجارية والمنشآت العامة والسيارات .

وتستعر المعركة بين قوات الأمن المركزي وبين الغاضبين ويخلع المتظاهرون بلاطات الشوارع ويلقونها علي قوات الأمن، وتتقدم الجموع نحو قصر عابدين وهي تهتف " يا حاكمنا من عابدين.. فين الحق وفين الدين " ، ويتجه البعض نحو الجامعة الأمريكية وهم يهتفون " يا أمريكا لمي فلوسك.. بكره الجيش العربي يدوسك " ويسقط

الجرح وتتعالي الصرخات ويجري الناس وتسود الفوضى ويضطرب الجميع ويشاهد الناس لأول مرة قوات الجيش والتي يكنون لها احتراماً خاصا ولولا نزولها ما توقفت الأحداث .

وسقط القتلى والمصابون ٧٩ قتيلاً و٢١٤ جريحاً وأعلنت حالة الطوارئ وغضب الرئيس السادات كما لم يغضب من قبل ونزلت القوات المسلحة لتعيد النظام بعد يومين من الفوضى .

وكان السادات أول من حمّل الشيوعيين مسئولية الأحداث وكثيراً ما أشار إلى ذلك في أحاديثه الرسمية وغير الرسمية، ورفض الرئيس تسميتها بانتفاضة شعبية وأصر علي إطلاق وصف " انتفاضة الحرامية " عليها .

ولاشك أن قوة الحركة الطلابية ساهمت في اتساع الاحتجاجات والمظاهرات، ولا شك أيضا أن هذه الحركة الطلابية كانت نتاج غليان وغضب شعبي يمتد من تاريخ نكسة يونيو ١٩٦٧. لقد ساهمت ثلاثة مصادر قوية في دعم وتنمية الحركة الطلابية المصرية عند عودتها مرة أخري . [1]

من كان وراء الانتفاضة

بدأت الانتفاضة سلمية وتحولت إلى أعمال تخريب وسلب ونهب كعادة الانتفاضات والمظاهرات المصرية ، وإذا كانت المظاهرات السلمية مظهراً حضارياً يفخر كل من شارك فيها إن كانت تطالب بحقوق واستحقاقات لصالح الشعب فإن أعمال السلب والنهب والتخريب التي تصاحب هذه المظاهرات يتنصل منها كل من شارك فيها ويحاول أن يلقي بالمسئولية على أعدائه وخصومه .

فالرئيس السادات ، ورئيس حكومته ، ووزير داخليته ، وصحفه الحكومية ألقوا تهمة السلب والنهب والتخريب على حزب التجمع اليساري ، والشيوعيين ، والناصريين .

([1]) مصطفي عبيد " شهادة جديدة حول انتفاضة الخبز في يناير ١٩٧٧ " جريدة الوفد بتاريخ ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠ .

obeikandl.com

في حين ألقى حزب التجمع التهمة على عملاء المخابرات الأمريكان، والرأسمالية الطفيلية . أما الصحف الأمريكية فألقت التهمة على الإخوان المسلمين ودونك بعض التصريحات التي تؤكد ذلك .

يقول رئيس الوزراء " ممدوح سالم " أمام مجلس الشعب " مؤامرة العنف وأنها ثورة ١٥ مايو المجيدة ، بعض خط سير الأحداث يكشف عن العناصر الشيوعية المنظمة ، وبعض قيادات حزب التجمع كانت ترصد تطورات الموقف الاقتصادي ، ومن وجهة نظر واحدة ، كانت تقف على أرضية سياسية واحدة . هدفها الانقضاض على الساحة الجماهيرية والسيطرة عليها . وأن الفريقين تشاركهما بعض العناصر من مدعي الناصرية التي اشتركت في المظاهرات ، سارعوا إلى تحديد توقيت التفجير بمجرد إعلان القرارات الاقتصادية التي أصدرتها الحكومة ، وكان أسلوب التفجير متجهاً منذ البداية إلى إثارة مشاعر الجماهير إلى الحد الذي يصل بالأمور إلى أثارة الاضطرابات على مستوى الجمهورية بأكملها . " [1]

ويقدم حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي وجهة نظر أخرى في بيانين يومي ١٩ ، ٢٤ يناير ١٩٧٧ جاء فيهما : " في الوقت الذي كانت الجماهير المصرية كما بشرتها الصحافة وبيان الحكومة وتصريحات المسئولين تحقيق خطوات فعَّالة في طريق تصحيح المسار الاقتصادي ، وتحسين أحوال الجماهير الكادحة .. فوجئت بقرارات من مجلس الوزراء برفع أسعار عدد من السلع الأساسية والذي يؤدي إلى المزيد من الارتفاع في الأسعار العامة ، والتي تتحمل أعباءها في النهاية الطبقات الشعبية ، والغريب أن تتم هذه الخطوات دون الروع إلى مجلس الشعب والتنظيمات الجماهيرية . وكان رد الفعل التلقائي من الجماهير التي تعاني من تعقد ظروف المعيشة ، وهو محاولة التعبير عن رفضها لهذه القرارات عن طريق التوجه إلى مجلس الشعب لمطالبته برفض هذه الزيادات التي امتصَّت أضعاف العلاوات المقررة للعاملين

([1]) نقلاً عن حسين عبد الرازق " مصر ١٨ و ١٩ يناير " ص ١٣ .

obeikandl.com

في الحكومة والقطاع العام ، رغم ما وعدت به الحكومة في بيانها بتحقيق التوازن بين الأسعار والأجور .

وشعبنا يعرف الحقيقة الكاملة ؛ فقد عبَّر عن نفسه وشارك في حركتي يومي ١٨، ١٩ يناير . وفاجأته قسوة قوات الأمن المركزي ولجوءها إلى العنف في مواجهة الحركة الجماهيرية السلمية بلا مبرر لهذا العنف ، مما أدى إلى بعض أعمال العنف المضادة والاعتداء على بعض الممتلكات العامة والخاصة ، وهيَّأ الجو لعمليات تخريب قامت بها عناصر مختلفة من عملاء المخابرات الأمريكية المركزية والرأسمالية الطفيلية لمخطط يستهدف إلصاق هذه العملية بالقوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية ، لاتخاذها ذريعة للقيام بعملية تصفية شاملة لهذه القوى وإيقاف تطور الممارسة الديمقراطية التي بدأت في مصر حديثاً بتعدد الأحزاب ، وإجهاد حزبنا إلى الحد الذي يشل إرادته وقدرته على الاستمرار دفاعاً عن مصالح الشعب والوطن . " [1]

أما مجلة " التايم " الأمريكية فجاء فيها في مقال بعنوان " حقيقة غضب الفقراء ": " ازداد بشكل كبير غضب الفلاحين المصريين والطبقة المتوسطة ، ويشكلان معاً ٩٠% من الشعب المصري الذي يبلغ تعداده ٤٠ مليون ، وذلك ضد مطلبات الحكومة المستمرة بأن يقدموا التضحيات . وتعيش هذه الطبقات تحت ظروف اقتصادية صعبة ، ونقص في المواد الغذائية ، وتضخم يصل إلى ٣٧ % سنويّاً ، ولاحظ الذين ذهبوا لشراء حاجياتهم من محلات الأغذية الخاصة أن الأسعار تعادل ٤ أمثال المجمعات الحكومية ، واشتكوا من زيادة أسعار اللبن واللحوم والخضروات . ومن جمع الشعب فهناك ١٠ % يتمتعون بانتعاش اقتصادي . وقد أصبح الأغنياء أكثر غنى في ظل النظام الحالي . وخصوصاً بعد أن عاد للكثير منهم ممتلكاتهم التي كانت قد وضعت تحت الحراسة في حكم الرئيس الرحال جمال عبد الناصر . كما أصبحت الاستثمارات الخاصة أسهل وذلك في محاولة من الحكومة لإقناع الطبقة

([1]) حسين عبد الرازق " مصر ١٨ و ١٩ يناير " ص ١٤ ، ١٥ .

العليا في مصر لكي تضع أموالها في المشروعات الصناعية، وذلك بدلاً من أعمال الوساطة والسمسرة التي تعود بأرباح أسرع وأكثر.

وفي الأسبوع الماضي انفجرت مظاهرات غاضبة في الشوارع واتسمت بعنف واستياء لم تشهده مصر منذ ٢٥ عاماً حينما طرد الملك فاروق . وكان هذا الانفجار بسبب القرارات المفاجئة التي أصدرها عبد المنعم القيسوني رئيس المجموعة الاقتصادية برفع أسعار بعض السلع . وهذا يعني رفع الأسعار في المجمعات الحكومية بمقدار ٥٠ % لنوع من الخبز بينما ارتفع سعر السكر ٢٥ % والشاي ٣٥ % ، وأنابيب البوتاجاز بمقدار ٥٠ % . وفي بلد متوسط الأجور فيه ٢٦ جنيهاً شهرياً فإن تلك الأخبار كانت كارثة . وعندما استمعت الجماهير الفقيرة في القاهرة والإسكندرية والسويس والمدن الأخرى إلى قرارات القيسوني ، اندفعت في مظاهرات عنيفة وهياج شديد لمدة ٤٨ ساعة .ويقول ممدوح سالم إن الشيوعيين مسئولون عن المظاهرات . وقد يكون هذا صحيحاً جزئيّاً . ولكن الاحتمال الأكثر ترجيحاً أ الكثير من أعمال الإثارة يتحمل مسئوليتها الإخوان المسلمون ، وهم جماعة محافظة عارضت نظام السادات المعتدل طويلاً .. " [1]

وحاول بعض الكتاب اليساريين بعد ذلك تحويل هذه المظاهرات من مظاهرات تطالب بإلغاء قرارات المجموعة الاقتصادية برفع الأسعار إلى مظاهرات سياسية ضد نظام السادات الذي حاد عن المسار الناصري الاشتراكي ، والحقيقة أن الشعب المصري كان مؤيداً للسادات وسياسته فقد خاض الحرب ضد إسرائيل وحقق النصر عليها لأول مرة بعد أن منيت مصر والعرب بثلاثة هزائم متوالية واحدة في عهد فاروق حرب ٤٨ ، واثنان في عهد عبد الناصر ٥٦ ، ٦٧ .

كما عمل على سيادة القانون ، وأعاد الحياة الحزبية بعد مرة ثانية بعد أن ألغتها ثورة يوليو ، وأخرج المعتقلين السياسيين من السجون والمعتقلات الناصرية ، وقى على مراكز القوى التي أفسدت الحياة في العهد الناصري وأرادت أن تستولي على الحكم في

([1]) نقلاً عن حسين عبد الرازق " مصر ١٨ و ١٩ يناير " ص ١٥ ، ١٦ .

عهد السادات ، أما عن سياسية الانفتاح التي يأخذها القوى اليسارية منطلقاً للهجوم على نظام السادات كله فإن السادات كان مضطراً إليها بعدما قضت سياسة التأميم الناصرية على الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية لقد كان الاقتصاد يمر بضائقة كبيرة ولم يكن هناك بد من جذب الاستثمارات وتشجيع المستثمرين أما كون أن كثيراً من المستثمرين وجَّه استثماراته إلى إنتاج سلع استهلاكية قليلة النفع وأعرض عن المساهمة في المشروعات التي تخدم المصالح الوطنية فإن تجربة التأميم المريرة هي التي دفعت هؤلاء المستثمرين اللجوء إلى هذا الاتجاه في بداية سياسة الانفتاح .

أما عن موضوع السلام مع إسرائيل الذي يعده اليساريون وبعض القوى الدينية من مساوئ السادات فإن الواقع قد أثبت أن السادات كان أعمق فهماً ، وأبعد نظراً من كل من عارضه من المصريين والدول العربية فقد استردت مصر كل أرض سيناء بكل ما فيها من كنوز وثروات ولو أن مصر قد تأخرت قليلاً عن استردادها لزرعتها إسرائيل بالمستوطنات ولاستحال استردادها ، كما تكون إسرائيل قد تمكنت من نهب ثروات سيناء خاصة البترول والغاز وأنضبت أرض سيناء منهما .

ولقد رفضت الدول التي احتلت أراضيها في ١٩٦٧: فلسطين ، وسوريا ، والأردن – معاهدة السلام فماذا كان حالها ؟

وماذا حققت بمسار الممانعة الذي نهجته ؟

وماذا عن ندمها أنها لم تشارك مصر في مباحثات السلام ؟ واضطرارها أن تتفاوض مع إسرائيل منفردة سراً أو علانية ؟

إن هذه الدول لم تحصل على شيء مما كان يمكن أن تحصل عليه أيام السادات .

أسباب ثورة ٢٥ يناير

إن المتتبع لتاريخ الثورات المصرية ، وقد تتبعناها في هذا الكتاب ، يجد أن المصري طيب وديع لا يميل إلى العنف ولا الثورة بل يميل إلى الاستقرار والهدوء

والالتزام بالشرعية والقانون . ومع ذلك فالمصري لا يقبل أبداً أن تهان ديانته أو تنتهك كرامته أو تنهب ثروته .

هذه مقدسات ثلاثة لم يسكت الشعب المصري طوال تاريخه عن انتهاك إحداها.

نعم شعب مصر شعب مسالم يكره الحرب ويحب السلام لأنه شعب مؤمن يبغض سفك الدماء ، ويعشق الإصلاح والبناء ، لكن إذا كتب عليه القتال ، وهو كره له ، قاتل وانتصر . وإذا انتهكت كرامته ، واعتدي على قوته ثار وانتقم .

فما تلك الأسباب التي جعلت الشعب المصري يقوم بثورته المجيدة ثورة ٢٥ يناير ؟

وما الجرائم التي ارتكبها النظام السابق التي جعلت الشعب المصري الوديع الصابر المتسامح يثور وينتفض .

انقطاع الأمل وانتحار الحلم

من أهم أسباب قيام ثورة يناير بل أهمها هو انقطاع أمل الشباب في صناعة مستقبل مغاير للحاضر المحبط على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فعلى المستوى السياسي ما زال الحزب الوطني يحتكر المجالس النيابية والمحلية والسلطة التنفيذية ومنصب الرئاسة لمبارك ولابنه من بعده ولا أمل في مشاركة أي من الأحزاب أو القوى الوطنية لهم في أية مسئولية لا في الأمد القريب ولا البعيد . بعد التعديلات الدستورية التي تم حياكتها في ٢٥مارس ٢٠٠٧ التي قَصَرت الرئاسة على الحزب الوطني وحده ، وأقصت الإشراف القضائي الكامل على الانتخابات مما ترتب عليه فتح الباب واسعاً للتزوير لصالح الحزب الوطني ورجاله وحرمان جميع القوى الوطنية التي تتمتع بالكفاءة والنزاهة والإخلاص والتي تضع الجماهير فيها ثقتها – من التمثيل في مجالس : الشعب والشورى وحتى المجالس المحلية .

أما على المستوى الاقتصادي فهناك ١٦ مليوناً يقبعون تحت خط الفقر المدقع وفقاً لأرقام صادرة عن تقارير حكومية نشرت عام ٢٠٠٩ في الصحف والوسائل الإعلامية إلى جانب إحصائيات وأرقام الجهات الرسمية في مصر. [1]

وأوصدت حكومة نظيف باب العمل في وجه الشباب بعد أن أوقفت التعيين في الحكومة منذ ٢٠٠٦ ولم تفتح له مجالات عمل أخرى خارجه .

يقول اللواء أبو بكر الجندي رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء : " نسبة البطالة في مصر وفقاً لمعايير منظمة العمل الدولية وصلت إلى ٨.٩% خلال الربع الرابع من عام ٢٠١٠. وأن نسبة البطالة في مصر بلغت٥١ % من حملة المؤهلات العليا . " [2]

وأكد د. صفوت النحاس رئيس جهاز التنظيم والإدارة " أن عدد العاملين في الحكومة سيصل إلى ٧ ملايين بنهاية العام المالي الجاري ٢٠١١ مقابل ٦ ملايين حالياً.

وأرجع هذا إلى فتح باب التعيينات مجدداً بعد الثورة، موضحاً أن هذا خلاف ما أصدره د. أحمد نظيف رئيس الوزراء الأسبق من تعليمات واضحة وصريحة بوقف التعيينات بصورة كاملة وعدم تثبيت العمالة المؤقتة والخريجين منذ بداية ٣٠ يونيو ٢٠٠٦.

وقال "النحاس إن "نظيف" أجرى تحقيق معي بعد أن وافقت على تعيين خريجي معهد الصيارفة تطبيقا للحكم الذي حصل عليه هؤلاء الخريجون" [3]

والملايين الستة المعينين في الحكومة كثير منهم يعيشون تحت خط الفقر فما يتقاضونه من جنيهات معدودة لا تفي بالحد الأدنى من متطلبات الحياة الكريمة بالإضافة إلى الإهانة التي يتعرضون لها في طوابير العيش ، وصفوف انتظار أنابيب

(1) جريدة الشروق المصرية .
(2) جريدة الشروق ٢٧/ ٧/ ٢٠١١.
(3) نقلاً عن وسائل الإعلام المصرية .

البوتاجاز ، وتكدس المواصلات العامة ، والحرمان شهوراً طوال من تذوق البروتينات الحيوانية كاللحوم والدواجن والأسماك ومشتقات الحليب .

فإذا جئنا إلى السكن فالغالبية العظمى من المصريين إما يعيشون في مناطق عشوائية في المدن الكبرى أو في قرى فقيرة والمناطق العشوائية والقرى تعيش حياة غير آدمية فهي محرومة من أبسط حقوق الإنسان وهي : الماء النقي ، والهواء النظيف ، والطعام الآمن ، والعلاج المتاح ، والتعليم الحقيقي ، والسكن الصحي .. مما جعل هَمَّ معظم المصريين الهجرة خارج البلاد فإن لم تكن بالطرق الشرعية لجئوا إلى الطرق غير الشرعية معرضين حياتهم وأموالهم للفناء فبعضهم يفضل الموت في قاع البحر على العيش على أرض مصر !!

يوم الثلاثاء ١١/ ١ / ٢٠١١ كنت مشاركاً في ندوة أدبية في نقابة الصحفيين واستمعت لقصائد بعض الشباب وكلها كانت تنضح باليأس والتشاؤم وتقطر مراً وعلقماً بل راح أحدهم يسب الوطن ويهينه ومن عجب أن راح السكرتير العام لاتحاد الكتاب يؤيده ويقره على قوله فثرت – وهذه ليست من عادتي – ثورة عارمة دفاعاً عن مصر وأهلها وألقيت التهمة على المسئولين الذين أوصلوا الشباب إلى هذه الحالة كما ألقيت بالمسئولية على الشباب الذي ينتظر التغيير والإصلاح ولا يفعل شيئاً وقلت ما فحواه : " إذا كان الشباب يشعر بالذل والهوان فعليه أن يثور في وجه من أوصلوه إلى هذه الحالة ، فالحرية لا توهب إنما تنتزع ، وإذا كان الشباب يتكلمون بهذا اليأس والإحباط وهذه السلبية والاتكالية فمن الذي بيده التغيير والإصلاح ؟! أيها الشباب أين الجهاد والكفاح ؟ كفاكم ترديداً للنغمة السائدة في أوساط المثقفين والأدباء عن فساد الحاضر وضياع المستقبل وانهيار القيم .. " ما لبثت طويلاً بعد أن ألقيت كلمتي حتى قدم لي أحد الحضور ورقة ما زلت أذكر أهم ما جاء فيها " أيها الأستاذ يا من تلوم الشباب ، خبرني ماذا يفعل الشباب وقد سدت في وجه أبواب الأمل : فلا عمل ، ولا سكن ، ولا حياة كريمة ، وإن حاول تغيير واقعه سلمياً زوروا إرادته في الانتخابات وفرضوا عليه من لا يرضى عنهم ... " التوقيع صحفي .

بعد أسبوعين فقط من هذه الندوة قامت الثورة التي كان الشباب رأس الحربة فيها وتأكدت ثقتي فيهم فمن غير الشباب يستطيع أن يغير الواقع المتردي الذي كنا نعيشه .

انتخابات ٢٠١٠

السبب الجوهري الأخر الذي دفع باتجاه الثورة هو انتخابات مجلس الشعب ٢٠١٠ التي مورس فيها جميع أنواع التزوير مما دعا كل الأحزاب والقوى الوطنية إلى مقاطعة جولة الإعادة بعدما تبين أن التزوير أصبح سافراً وأن ورقة التوت التي كانت تستر عورة النظام قد سقطت . فقد أقصيت المعارضة عن هذا المجلس ولم يبق فيه إلا الحزب والوطني وعملائه ، وكان مجلس الشعب هو المتنفس الوحيد لقوى المعارضة ذات الشعبية الكبيرة بين الشعب المصري ، ورغم أن وجود المعارضة داخل المجالس الشعبية لم يمنع من تمرير أي قانون يريده الحزب الوطني كقانون الطوارئ ، والتعديلات الدستورية المقيتة .. إلا أن حرمان القوى الوطنية من المعارضة داخل قبة البرلمان قد حوَّل المعارضة إلى قوى ثائرة خارجه .

لذا كان طبيعيّاً أن جميع البرلمانيين السابقين من الأحزاب والإخوان المسلمين الذين أسقطهم الحزب الوطني في الانتخابات الأخيرة في مقدمة من دعا إلى التظاهر يوم ٢٥ يناير ضد النظام المستبد الفاسد ، كما تصدروا هذه المظاهرات عند اندلاعها .

سيناريو التوريث

قد يسأل سائل لماذا لجأ الحزب الوطني إلى التزوير السافر لانتخابات مجلسي الشعب والشورى رغم أن المعارضة السابقة لم تحل دون تمرير القوانين سيئة السمعة والإجابة ببساطة أن هذا المجلس هو الذي سيمرر الحكم من الأب لابنه من مبارك لجمال فلابد أن يكون جميع أعضاء مجلس الشعب ممن يصفقون لمسرحية التوريث عند عرضها وقد سبق الانتخابات المزورة التعديلات الدستورية ٢٠٠٧ التي وضعت شروطاً للترشح لمنصب رئيس الجمهورية لا تنطبق إلا على شخص واحد في جمهورية مصر العربية هو جمال مبارك .

وكانت القوى الوطنية تحلم باليوم الذي تتخلص فيه من سنوات طويلة من الاستبداد والفساد ومبارك إن عاش اليوم فلن يعيش للغد وقد بلغ من العمر أرذله لكن أن يرث جمال أباه في الحكم فهذا معناه سنوات أخرى لا يعلم إلا الله مداها من احتكار الحزب الوطني للحكم وموارد البلاد .

بوليسية الدولة

الأصل أن يكون نظام الحكم في خدمة نظام الدولة وجموع شعبها ، ولكن منذ استبد عبد الناصر بحكم مصر عكس الأمر إذ جعل نظام الدولة وجماهير شعبها في خدمة النظام الحاكم وجمع كل السلطة في يده وحرم كل القوى والوطنية من المشاركة فيها ، واستخدم كل صنوف العنف والقهر لتحقيق هذا فالاعتقال والتعذيب والفصل من العمل والمحاكم الاستثنائية ، والشرطة ، والجيش ، وأجهزة المخابرات، وأهل ثقة النظام في كل مواقع العمل كلها موجهة ضد أي شخص أو جماعة يختلف ، مجرد اختلاف ، مع النظام الحاكم .

وللأسف أصبحت هذه السياسة التي سنها عبد الناصر من ثوابت نظام الحكم في مصر ، وإن كان هناك اختلاف في النسبة وتنوع في الأساليب ، وإذا كانت الجماهير الغفيرة من المصريين في الحقبة الناصرية كانت مؤيدة للنظام الحاكم بفضل غيبة الحقائق ، وإخراس أصحاب الرأي ، وسطوة الإعلام الموجه ، وكاريزما الزعيم فإن الثورة التي شهدها الإعلام العربي والانفتاح على كافة الآراء والاتجاهات ، ومساحة الحرية التي أعطيت لأصحاب الرأي وعزوف الناس عن الإعلام الموجه ، وغياب كاريزما الزعيم ، والمنجزات الكبرى كل هذا أدى إلى فقدان مبارك ، خاصة في السنوات العشر الأخيرة ، لتأييد الجماهير مما ألجأه إلى إحكام القبضة الأمنية ، وتفعيل قانون الطوارئ المعمول به منذ هزيمة ١٩٦٧ هذا القانون الذي يعطي النظام الحاكم الحق في القبض على أي شخص ، وتعذيبه ، واعتقاله ، ومداهمة بيته دون إذن من النائب العام ، ودون تقديمه للمحكمة ودون منحه الحق في الدفاع ، ويظل هذا المتهم البريء شهوراً وسنوات ملقى في غياهب السجون دون محاكمة ودون أن يعرف أهله عنه شيئاً . وإن قدم لمحكمة يجبر على الاعتراف بجرائم لم يرتكبها تحت

التعذيب والتنكيل ، ولقد راح آلاف من المواطنين الشرفاء أصحاب الرأي أو المواطنين العاديين ضحية لقانون الطوارئ الجائر وجهاز أمن الدولة القائم على تنفيذه الذي أدخل الرعب في قلوب المصريين .

لكن لكل صبر نهاية ولكل احتمال حد فقد ضج الناس من قبضة الدولة الباطشة وجهاز أمنها الطاغي ولم يعد لديهم قدرة على الصبر والاحتمال أكثر من ذلك .

يدعو تقرير منظمة العفو الدولية ، الصادر بعنوان" : حان وقت العدالة: نظام الاعتقال البغيض في مصر"، إلى إجراء تحقيق مستقل على الفور في انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبها جهاز أمن الدولة، الذي كان مصدر خوف شديد.

وقالت منظمة العفو الدولية: "تحت ستار حالة الطوارئ، سُمح لقوات أمن الدولة في عهد الرئيس مبارك بارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان دون خوف من الفحص أو العقاب."

ويذكر تقرير منظمة العفو الدولية : " أن ضباط مباحث أمن الدولة كانوا يستخدمون الاعتقال الإداري لاحتجاز أشخاص من منتقدي السلطات المصرية، ومن نشطاء حقوق الإنسان، والمشتبه بهم جنائياً، لفترات طويلة حسبما يحلو لهم، وبدون أن يعتزموا تقديمهم للمحاكمة أمام محاكم جنائية.

ولم تفصح السلطات مطلقاً عن عدد الذين اعتُقلوا إدارياً. وتشير تقديرات منظمات محلية ودولية معنية بحقوق الإنسان إلى أن عدد الذين اعتُقلوا إدارياً خلال السنوات الأخيرة من حكم الرئيس مبارك يتراوح بين ستة آلاف وعشرة آلاف.

وفي مئات الحالات التي فحصتها منظمة العفو الدولية، لم يتم إبلاغ المعتقلين بسبب القبض عليهم، ولم يُسمح لكثيرين منهم بالاتصال بالعالم الخارجي أو بالحصول على مساعدة قانونية، كما اختفى بعضهم لعدة أشهر.

وكان تعذيب المعتقلين أمراً معتاداً، بما في ذلك الصعق بالصدمات الكهربائية، والضرب، والتعليق، والجلد، والحرمان من النوم.

وفي مايو ٢٠١٠، أعلنت السلطات المصرية أن استخدام الاعتقال الإداري سوف يقتصر على منح جرائم الإرهاب والمخدرات، وهو الأمر الذي يحد بالتالي من نطاق تطبيق قانون الطوارئ. والواقع أن السلطات دأبت على استخدام صلاحيات الطوارئ لخنق حرية التعبير وحرية الاجتماع ولقمع المعارضة السياسية السلمية.(١)

خالد سعيد

من أشهر ضحايا الدولة البوليسية خالد سعيد الذي توفي على يد رجال الشرطة في منطقة سيدي جابر في السادس من يونيو ٢٠١٠، بعد أن تم ضربه وسحله حتى الموت أمام عدد من شهود العيان.

ووفاة شاب آخر هو السيد بلال أثناء احتجازه في مباحث أمن الدولة بالإسكندرية، بعد تعذيبه في إعقاب حادثة تفجير كنيسة القديسين بالإسكندرية.

ويصل إجمالي ضحايا عنف وزارة الداخلية المصرية لنحو ٣٥٠ (شهيد) في آخر ثلاث سنوات، حسب تقديرات المنظمات المعنية بحقوق الإنسان .

مما دعا إلى إنشاء الناشط الالكتروني وائل غنيم (٢) صفحة (جروب) " كلنا خالد سعيد " على شبكة الفيس بوك الذي جذب تعاطف مئات الآلاف من المصريين والذي دعا ، كما دعت أحزاب وجماعات ومنظمات وحركات أخرى ، إلى مظاهرات ٢٥ يناير لتحرير مصر من الفساد وإسقاط نظام الرئيس مبارك . كما كان للصفحة أو المجموعة دور كبير في التنسيق بين الشبان ونقل صدى المواجهات مع رجال الأمن.

فالثورة عندما بدأت يوم ٢٥ يناير كانت مكونة من الشباب الذين شاهدوا أو انضموا لصفحة (كلنا خالد سعيد) ثم تحولت إلى ثورة شاركت فيها جميع طوائف الشعب المصري.

---

(1) نقلاً عن موقع منظمة العفو الدولية بتاريخ 20 أبريل ٢٠١١

(2) وائل غنيم شاب مصري يعتقد كثيرون أنه أبرز مفجري ثورة ٢٥ يناير ، قال عن نفسه، في تصريح صحفي، أنه "مناضل كيبورد"، في تواضع أمام من قدموا أرواحهم في هذه الثورة،اعتقل بعد قيام الثورة بيومين وأفرج عنه يوم ٧ فبراير .
شكك البعض في مسئولية وائل غنيم عن إنشاء صفحة " كلنا خالد سعيد " .

الثورة التونسية

هي ثورة شعبية اندلعت أحداثها في ١٨ ديسمبر ٢٠١٠ تضامنًا مع الشاب محمد البوعزيزي الذي قام بإضرام النار في جسده في ١٧ ديسمبر ٢٠١٠ تعبيرًا عن غضبه على بطالته ومصادرة العربة التي يبيع عليها وقد توفي البوعزيزي في الرابع من يناير ٢٠١١ نتيجة الحروق أدى ذلك إلى اندلاع شرارة المظاهرات في يوم ١٨ ديسمبر ٢٠١٠ وخروج آلاف التونسيين الرافضين لما اعتبروه أوضاع البطالة وعدم وجود العدالة الاجتماعية وتفاقم الفساد داخل النظام الحاكم. أجبرت هذه المظاهرات التي شملت مدن عديدة في تونس الرئيس بن علي على التنحي عن السلطة ومغادرة البلاد بشكل مفاجئ بحماية أمنية ليبية إلى السعودية يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١ " .

وقد شجَّع نجاح الثورة التونسية القوى الوطنية المصرية وشباب الثورة بالقيام بثورتهم ؛ فقد أعطتهم ثورة تونس أملاً في إمكانية التغيير السلمي للنظام الفاسد .

كما ألهمت الثورة المصرية الثورات العربية التالية عليها .

لقد استعرضنا في هذا الكتاب تاريخ مصر كله مع الحكام الظالمين أجانب كانوا أم محليين ، ووجدنا أن المصريين ما استكانوا لظالم ولم يرضوا أبداً بالهوان فهل مازال من اتهم شعب مصر العظيم ، ومن صدَّقهم ، بأنه شعب جبان وعبد لمن غلب ويتسم بأخلاق العبيد على رأيه في شعب مصر ؟!

***

obeikandl.com

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٤- المدارس السلفية،جدليَّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة

٥- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمَّ . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو . دار زهور المعرفة والبركة

٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية . " " " " " " " "

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي .

دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) "" "" "" "" ""

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن "" "" "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" "" "" ""

obeikandl.com

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية "" "" "" ""

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . زهور المعرفة والبركة

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟ زهور المعرفة والبركة

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة) " "" "" ""

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) "" "" "" ""

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) "" "" "" ""

كتب أطفال

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " " " "

توجد كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة على مستوى في العالم، ومعظم الجامعات العربية، ومعظم مدارس وجامعات مصر، وكتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية، والأجنبية والمواقع الالكترونية .

obeikandl.com

متى يثور المصريون

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور المصريون" .

التليفون المحمول 01226406489

البريد الالكتروني yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***

obeikandl.com